الشباب في المناطق المهمّشة في لبنان:

جيوب الفقر اللبنانية والمخيّمات الفلسطينيّة والتجمعات السوريّة

الكتاب الثالث

انخراط الشباب في الفضاء الاجتماعي العامّ بين المشاركة والانكفاء



Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs
معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية



الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية

صدر هذا الكتاب عن معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت (IFI) بالشراكة مع الهيئة اللبنانية للعلوم التربويّة (LAES). يمكن الحصول على هذا الكتاب عبر تحميله عبر الموقع الإلكتروني التالي:
http://www.aub.edu.lb/ifi

إن هذا الكتاب هو الكتاب الثالث ضمن سلسلة يُصدرها المعهد بالشراكة مع الهيئة في إطار مشروع الهيئة البحثي تحت عنوان "الشباب في المناطق المهمّشة في لبنان: جيوب الفقر اللبنانية والمخيّمات الفلسطينيّة والتجمّعات السورية".

يقدّم هذا الكتاب نتائج الدراسة التي قامت بها الهيئة تحت إشراف د. عدنان الأمين، أستاذ العلوم التربوية في الجامعة اللبنانيّة ومستشار المعهد لبرنامج التربية والشباب، عن الشباب في المناطق المهمّشة في لبنان والتي استغرقت ثلاث سنوات (٢٠١٨ - ٢٠٢١). تناولت هذه الدراسة ستة جوانب لحياة الشباب وهي: الحياة المهنية والتعليمية والعائلية والاجتماعية بالإضافة إلى مسألة الهوية والمستقبل.

ISBN number: 978-9953-586-88-5

معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية - الجامعة الأميركية في بيروت
11-0236، رياض الصلح / بيروت 2020 1107 لبنان
الهاتف: 350000-1-961+ الخط الداخلي: 4150
+961-1-737627
ifi.comms@aub.edu.lb
www.aub.edu.lb/ifi
aub.ifi
ifi_aub@

انخراط الشباب في الفضاء الاجتماعي العامّ بين المشاركة والانكفاء

عدنان الأمين

كمال أبو شديد

غادة جوني

ماريز يونس

فريق الدراسة

مدير الدراسة عدنان الأمين

اللجنة الاستشارية ساري حنفي، ندى منيمنة، رضا حمدان، وفاء قطب

الباحثون

ماريز يونس دراسات الشباب اللبنانيين (٦ دراسات)

كمال أبو شديد دراسات الشباب الفلسطينيين (٦ دراسات)

غادة جوني دراسات الشباب السوريين (٦ دراسات)

عدنان الأمين دراسات مقارنة (٦ مقارنات إحصائية) ودراسة السياسات

سوزان عبد الرضا أبو رجيلي التقديمات التربوية في المناطق المهمّشة - دراسة إدارة المعلمين للصفوف في زمن الكورونا

يارا هلال التقديمات التربوية في المناطق المهمّشة - دراسة إدارة المديرين للمدارس في زمن الكورونا

المستشارون

رضا حمدان أوراق مرجعية حول دراسات الشباب اللبناني، وخريطة جيوب الفقر اللبنانية، وحول كيفية اختيار عينة دراسة الشباب في المشروع.

ماري قرطام أوراق مرجعية حول: دراسات الشباب الفلسطيني، وخريطة الوجود الفلسطيني في لبنان، والسياسات المتعلقة بالشباب الفلسطيني.

ربى محيسن ورقتان مرجعيتان حول دراسات الشباب السوريين، وخريطة الوجود السوري في لبنان

سهير الغالي ورقتان مرجعيتان حول السياسات المتعلقة بالشباب اللبنانيين والشباب السوريين

الباحثون المساعدون

تحليل الوثائق آلاء خالد، ريما جودة، شريفة حمزة، فاطمة عيسى، كاتي سكاف، محمد علوية، مروة بكاباس، مريم صباغ، نسرين صباغ، هبة شاهين، هلا أبي صالح، هلا منقارة، هنادي الشافعي.

إدارة العمل الميداني آلاء خالد، حسن سالم، حسين ديراني، دزاهيغ كول ساهاغيان، رما نعيمي، زكية قرنفل، زينب رزوق، شادية المقداد، عليا شعبان، عمر عساف، كريستيان العاجوري، محمود العلي، محمود خالد، هنادي الشافعي، هند يعقوب.

المحتوى

ABSTRACT

The study aims to reveal the interactions of youths with the conditions of social marginalization in which they live. The fieldwork was conducted in summer 2019 on 144 focus groups in 38 marginalized zones in Lebanon, including Lebanese poverty pockets, Palestinian camps and Syrian gatherings, 48 focus groups were created for each nationality, of which 24 were exclusively males and 24 exclusively females. The 1173 participants in these focus groups were young men and women aged between 15 and 25 years old. 22 questions were put forward to each group.

The current book deals with the answers of young people related to their social life. It revolves around three questions: 1) What is your favorite place to spend your time other than school, home and work? 2) Whom do you usually turn to for help or support if you have a problem? Or who makes you feel protected in your community? 3) In your opinion, what are the best ways to address the problems of the society around you and are you ready to participate in them?

The study shows that the social life of young people in marginalized areas in Lebanon is closely related to the family, that is, to the private space. This appears in several forms: through staying at home and among relatives and neighbors, or the restrictions imposed by parents on the children's going out to the public space, or through parents accompanying their children in the public space, and youth's reliance on their families to face their problems. This conservatism is highest among girls and Syrians. It was found that the public space, which attracts two-thirds of the youth, is embodied in places of entertainment (cafes or other), while the places of cultural, religious and political activities are marginal. These results indicate that "youth as responsiblity" and "youth as trouble" are almost non-existent compared to "youth as fun" in marginalized groups. But it also indicates that the "youth as fun" (who gather in cafés away from their parents) are masculine in character, and quickly return to their parents, in terms of support and assistance.

ملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن تفاعل الشباب مع شروط التهميش الاجتماعي التي يعيشونها. أُجرِي العمل الميداني في صيف العام ٢٠١٩ وشمل ١٤٤ مجموعة تركيز في ٣٨ منطقة مُهمّشة في لبنان، تضمّ جيوب فقر لبنانيّة ومخيّمات فلسطينيّة وتجمّعات سوريّة، ٤٨ مجموعة تركيز لكلّ جنسية موزّعة مناصفة بين الذكور والإناث. شارك في هذه المجموعات ١١٧٣ شاباً وشابّة تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٥ سنة، وتناولت مجموعات التركيز ٢٢ سؤالاً.

يعالج الكتاب الحالي أجوبة الشباب المُتعلّقة بحياتهم الاجتماعيّة، وهي تتمحور حول ثلاثة أسئلة: ١) ما هو المكان الآخر المفضّل الذي تقضون وقتكم فيه غير المدرسة والبيت والعمل؟، ٢) إلى من تلجؤون عادة طلباً للمساعدة أو الدعم إذا تعرّضتم لمشكلة؟ أو من يشعركم بالحماية في مجتمعكم؟ ٣) ما هي أفضل السبل برأيكم لمعالجة مشاكل المجتمع من حولكم؟ وهل أنتم على استعداد للمشاركة فيها؟

تُظهِر الدراسة أن الحياة الاجتماعيّة للشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان لصيقة بالأهل بقوّة، أي بالفضاء الخاصّ، وهو ما يُترجَم بصيغ أو أشكال عدّة: البقاء في المنزل وبين الأقارب والجيران، والقيود التي يفرضها الأهل على خروج الأبناء إلى الفضاء العامّ، ومصاحبة الأهل للأبناء في الفضاء العامّ، واستناد الشباب إلى أهلهم في مواجهة مشاكلهم. تبلغ هذه النزعة المُحافظة أقصى درجاتها عند البنات والسوريين، وتُبيّن أن الفضاء العام الذي يستقطب ثُلثي الشباب يتجسّد في أماكن التسلية (مقاهي أو غيرها)، في حين أن أماكن الأنشطة الثقافيّة والدينيّة والسياسيّة تبقى هامشيّة. تشير هذه النتائج إلى أن «شباب المسؤوليّة» و«شباب الاحتجاج» غير موجودين تقريباً بالمقارنة مع «شباب اللهو» في المجموعات المُهمّشة، وأن «شباب اللهو» (الذين يتجمّعون في المقاهي بعيداً من الأهل) هم ذكوريو الطابع، ويرتدون نحو الأهل بسرعة بحثاً عن السند والمساعدة.

مقدّمة[1]

يجمع لبنان ثلاثة مجموعات سكّانية مُهمَّشة: جيوب الفقر اللبنانيّة، المُخيّمات الفلسطينيّة، وتجمّعات النازحين السوريين.

نحن نعرف أنَّ المناطق المهمَّشة يسودها الفقر وسوء الخدمات الاجتماعيّة والتربويّة والصحّية، إلخ... ونعرف أنَّ اللاجئين والنازحين يعيشون في ظروف صعبة. ليس هدف هذه الدراسة البرهان على أنَّ الشباب في مناطق التهميش والفقر هم فقراء.

ونعرف أنه تنتشر في مثل هذه المناطق مهن غير مُنظَّمة (non-formal)، ومنظّمات سياسيّة ودينيَّة وعسكريَّة، وربما تضم خارجين عن القانون، يلجأون إلى مثل هذه المناطق. ونعرف أيضاً أنَّه توجد فيها جمعيّات مدنيّة وتطوّعيّة وتدريبيّة وخيريّة وملاعب ونوادٍ ومنظّمات إقليميّة ودوليّة. ليس هدف هذه الدراسة «مسح» المناطق المُهمّشة.

السؤال الرئيسي لهذه الدراسة هو التالي: كيف يتفاعل الشباب مع شروط العيش التي نعرفها في المناطق المُهمّشة؟

وقد اخترنا الشباب تحديداً ليس لأنهم مجرّد عيّنة من سكّان هذه المناطق، بل لأنَّ الشباب مقارنة بغيرهم من السكّان يُعتبرون الشريحة الاجتماعيّة التي تحمل أكثر من غيرها، عادةً، بذور القلق والتمرّد على شروط عيشهم المباشرة وغير المباشرة. من هذه الناحية، تعتبر الدراسة جديدة في موضوعها.

ثمّ اخترنا ثلاث مجموعات من السكّان لكلّ منها حكايتها وتاريخها، ومرّ كلٌّ منها بمراحل سياسيّة دراماتيكيّة أحياناً، وتكوّنت فيها «طبقات» من الأفكار والقيم عن المحيط صعوداً من الأسرة والأقران إلى المجتمع المحلّي فالمجتمع والدولة في لبنان وإلى المجتمع الدولي. من جهة، أردنا سبر غور أفكار الشباب في هذه الدراسة من خلال سماع صوتهم، ومن جهة ثانية، أردنا فهم وتحليل ما يقولونه، بل إجراء مقارنات بين الجنسيّات الثلاث، اللبنانيّة والفلسطينيّة والسوريّة. هذه الإشكاليّة تُطرح للمرّة الأولى، على حدّ علمنا، في لبنان.

بالنظر إلى هذه الإشكاليّة، لم يكن أمامنا إلّا اختيار المسار الأصعب، ولكن الأكثر غنى في طريقة البحث. اخترنا طريقة مجموعات التركيز (focus groups)، وهي إحدى طرق البحث النوعي.

تتميّز هذه الطريقة بأنّها تتيح للمشاركين في كلّ مجموعة فرص التعبير الحرّ عن أفكارهم، والتفاعل مع أقرانهم سلباً وإيجاباً، وتغيير آرائهم، تماماً كما يحدث في الحياة العادية. يطرح مُيسِّر الجلسة سؤالاً مفتوحاً، ويدفع المشاركين إلى التفاعل مع بعضهم، من دون أن يأخذ موقفاً من كلامهم، لا دعماً ولا دحضاً، لأنّ كلّ كلام يقولونه مهمّ في قيمته ودلالته. إدارة الجلسة مسألة دقيقة وتسجيل ما يقوله المشاركون مسألة صعبة، ويجب أن يكون المشاركون مرتاحين. لذلك حرصنا على عقد جلسات مجموعات التركيز في أمكنة اشترطنا أنّ تكون مريحة، وأن يديرها شخص من جنسية المشاركين في كلّ مجموعة وجنسهم، وألّا يتمّ تصوير الجلسة أو تسجيلها صوتياً، وألّا يُصرّح عن الاسم الكامل إلّا لمن يشاء. كان لكلّ جلسة «مُقرِّر» يجلس صامتاً بعد أن يعرّف عن نفسه، لا يشارك في النقاش بتاتاً، ويسجّل مجريات الجلسة خطّياً، ويكون أيضاً من جنسية المشاركين وجنسهم. طُرح في كلّ جلسة ٢٢ سؤالاً موزّعاً على ستة محاور.

---

1 كتبت هذه المقدمة للكتاب الأول، والهدف منها تقديم موجز عن منهجية الدراسة ككل. وبالتالي هي مكرّرة هنا وسوف تتكرر في الكتب الستة التي تصدر عن المشروع. ما هو غير مكرّر يقتصر على الفقرة الأخيرة من المقدمة والتي تتعلق بموضوع هذا الكتاب.

تمكّن فريق البحث من تنظيم ١٤٤ مجموعة تركيز، في ٣٨ منطقة (zone) تهميش[2]، موزّعة بين الجنسيات الثلاث (٤٨ مجموعة لكلّ من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين)، وبين الجنسين (٧٢ مجموعة إناث و٧٢ مجموعة ذكور). وطبقاً لقواعد العمل المُقرَّرة، يكون عدد المشاركين في كلّ مجموعة ٧ كحدّ أدنى و١٠ كحدّ أقصى، وتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٥ سنة. عملياً، شارك ١١٧٣ شاباً وشابّة في هذه المجموعات، موزّعين بصورة متقاربة بين الجنسيات الثلاث وبين الجنسين، وبلغ المتوسّط الحسابي للأعمار ١٨,٧ سنة. عموماً، كانوا غير متزوّجين، لكن كان معظم المتزوّجين الـ ١٤٠ بينهم من السوريين (١١٢)، ومعظم هؤلاء من الإناث (٧٢).

عُقِدت مجموعة التركيز الأولى في الأوّل من حزيران/ يونيو ٢٠١٩، والمجوعة الأخيرة في السابع عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠١٩.

بدأت بعدها مرحلة تنظيم البيانات تمهيداً لتحليلها. كانت هذه المرحلة ذات صعوبة مختلفة. أولاً، لأنّ هناك مادة كبيرة جُمِعت في ١٤٤ محضراً (١٩٦ ألف كلمة). وثانياً، لأنّ هناك ضرورة لتفريغ المادة المُجمَّعة وفق قاعدة واحدة تسمح بالمقارنة بين المجموعات الثلاث، والتفاعل بين الباحثين الذين أخذ كلٌّ منهم جنسيةً على عاتقه. كان استخدام برمجيّة للتحليل النوعي ممكناً، وقد جُرِّب هذا الخيار، لكن استقرّ الرأي داخل الفريق على تفريغ البيانات على سجلات إكسيل، لكلّ سؤالٍ سجلّه واصطلاحُه (code)[3]. كانت مهمّة الباحثين المساعدين القيام بهذا الأمر تحت إشراف مدير الدراسة ومتابعة أعضاء الفريق. كان يَنتُج عن عمل كلّ باحث مساعد على كلّ سؤال نحو عشر وثائق[4]، يوزِّعها مدير الدراسة على كلّ من الباحثين الثلاثة، فيشرع بالمراجعة والتحليل والكتابة.

استغرقت هذه العمليّات وقتاً طويلاً جدّاً لتحضير سجّلات الإكسيل، والانتقال من هذه السجّلات إلى كتابة مسودّات تقارير عن كلّ محور، ومناقشة مسودّات التقارير بين أعضاء الفريق. إذا أجرينا الحساب الزمني لهذا العمل يتبيّن أن تحليل البيانات المُجمّعة في مجموعات التركيز بدأ في شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر ٢٠١٩، في حين بدأت الأوراق البحثيّة بالظهور ضمن الكُتيّب الأوّل في العاشر من أيار/ مايو ٢٠٢١، ولن ينتهي نشر جميع الأوراق إلّا في أواخر العام ٢٠٢١. بالتالي، تكون مرحلة «تحليل البيانات ونشر النتائج» قد استغرقت نحو سنتين وثلاثة أشهر. في المقابل، استغرقت مرحلة جمع البيانات (العمل الميداني) أقل من ثلاثة أشهر. لكن يمكنني أن أقول إن قِصر مرحلة جمع البيانات كان ثمرة لطول المرحلة التحضيريّة، التي امتدّت من الأوّل من أيار/ مايو ٢٠١٨ حتّى الأوّل من حزيران/ يونيو ٢٠١٩ (١١ شهراً).

كُتيّب الحلقة الدراسيّة الذي يصدر اليوم هو الثالث في سلسلة الكُتيّبات التي تصدر تباعاً في هذه السلسلة، وهي ستة. يشكّل عرض نتائج دراسة تفاعل الشباب في المناطق المُهمّشة مع شروط عيشهم المادة الأكبر في هذه الكُتيّبات، التي سوف يتكرّر فيها ذكر أسماء أعضاء الفريق البحثي من حلقة إلى أخرى. لكن في الكُتيّبات اللاحقة إضافتان. تحصل الإضافة الأولى في الحلقة الدراسيّة الخامسة التي تتناول المحور التعليمي، وفيها سوف تُعرض نتائج دراسة ميدانيّة ثانية اشتمل عليها موضوع الشباب وتتعلّق بالتقديمات التربويّة. في هذه الحلقة ورقتان إضافيتان وزميلان إضافيان

2 هذه المناطق وفق المحافظة هي:

البقاع: برّ الياس، عرسال.

الجنوب: القليلة - صور، المعشوق - صور، دير قانون العين – صور، صيدا القديمة - صيدا، عين الحلوة - صيدا، لوبيّة - صيدا، مخيّم البصّ- صور، مخيّم برج الشمالي – صور، صيدا، صور.

الشمال: البداوي، التبانة، القبّة، المحمّرة، المنكوبين، الميناء، أبو سمراء، جبل البداوي، جبل محسن، حلبا، مخيّم البداوي، مخيّم البداوي - المنكوبين، مخيّم نهر البارد.

بيروت وضواحيها: الأوزاعي، الحيّ الغربي - صبراء، الخندق الغميق، الداعوق - الطريق الجديدة، برج البراجنة، برج حمود، تجمّع سعيد غواش - الطريق الجديدة، حارة حريك، حيّ السلّم، صبرا - الطريق الجديدة، الطريق الجديدة، عين الرمّانة، مخيّم شاتيلا.

3 لمزيد من التفاصيل حول تفريغ البيانات وتنظيمها، أنظر مقدّمة الفصل الأخير من هذا الكتاب بعنوان: مقارنة إحصائيّة بين المجموعات الثلاث.

4 الاصطلاح (code)، ثلاثة محاضر مُتعلّقة بالجنسيّات الثلاث منظّمة بصورة جديدة ومُحمّلة بإشارات وألوان، ثلاثة سجّلات إكسيل، ثلاثة تقارير أوليّة. والتقرير الأوّلي هو إعادة عرض وتوزيع للمادة المُجمَّعة (الشهادات) تبعاً لعناوين الاصطلاح وفئاته.

في الفريق البحثي. وتحصل الإضافة الثانية في الحلقة الدراسيّة السابعة التي تتناول السياسات، وهي ذات طبيعة مختلفة عن سائر الحلقات.

مع الشكر للهيئة اللبنانيّة للعلوم التربويّة التي احتضنت مشروع دراسة الشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان، ومعهد عصام فارس للسياسات العامّة والشؤون الدوليّة الذي تداول نتائج الدراسة ونشرها، والزملاء الذين رافقوني في هذا المشوار في طلعاته ونزلاته.

عدنان الأمين

مدير الدراسة

بيروت في ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٢١

الحياة الاجتماعيّة للشباب في المخيّمات والتجمّعات السوريّة

غادة جوني*



* أستاذة في التربية في الجامعة اللبنانيّة

يفضّل الشباب، عادة، قضاء معظم وقتهم بعيداً من الأهل والأقارب، لما يُمثِّله هؤلاء من سلطة، في مقابل توق الشباب إلى الاستقلاليّة، أضف إليه أن الخروج عن دائرة الأهل يغذّي فضول الشباب في اكتشاف العالم الخارجي، وخوض تجارب جديدة، والانخراط في المجتمع والفضاء العامّ.

لا يمكن التغاضي عن تأثير العديد من العوامل، التي يرتبط بعضها بالشباب عموماً، وبالنازحين السوريين خصوصاً، في تحديد اتجاهات الشباب في اختيار الأماكن التي يقصدونها لتمضية أوقاتهم، والأنشطة التي ينخرطون بها، وكيفيّة تفاعلهم مع المشاكل التي تواجههم.

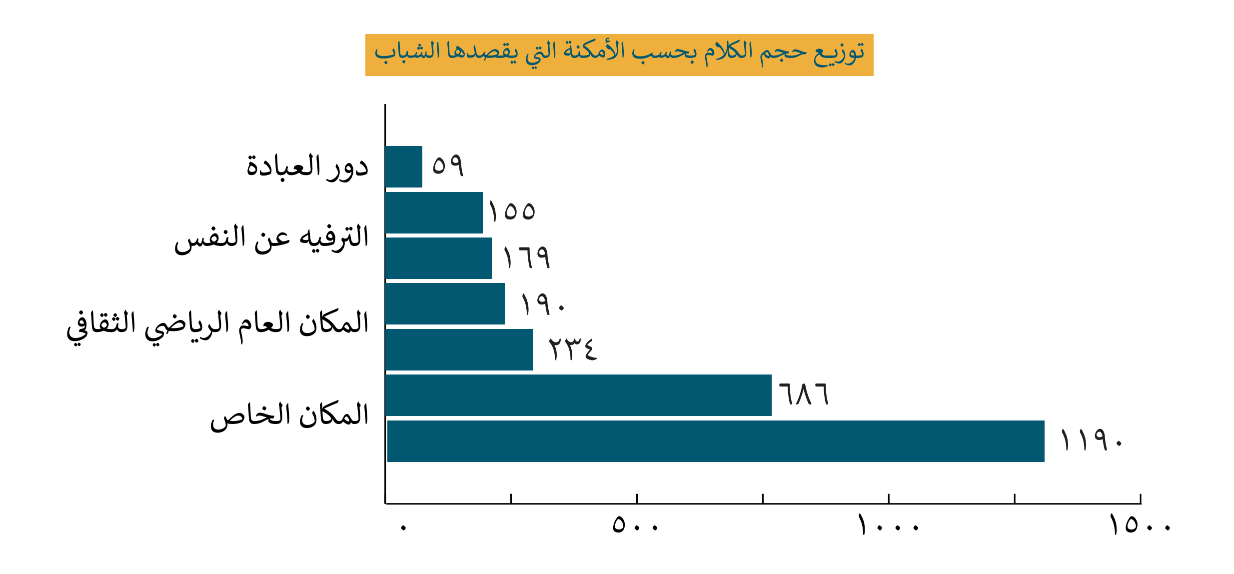
من هنا، وبهدف التعرّف إلى اتجاهات الشباب السوري النازح في الحياة الاجتماعيّة ومدى وكيفيّة انخراطه فيها، طُرِحت ثلاث أسئلة للوقوف على آراء الشباب وتوجّهاتهم بهذا الخصوص، نتوقّف عندها أدناه[1].

أوّلاً - المكان المفضّل

طُرِح السؤال التالي على الشباب: ما هو المكان المفضّل الذي تقضون وقتكم فيه غير المدرسة والبيت والعمل؟

١. الاتجاه العامّ

عبّرت الأكثرية في ٢٨ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز عن تمضيتها الوقت في مكان خاصّ، في حين ذكرت الغالبيّة ضمن ١٥ مجموعة أنها تقصد مكاناً عاماً للتسلية، أمّا المجموعات الخمس الباقية فقد انقسمت حول المكان الذي يمضون فيه أوقاتهم.



1 أنظر حول منهجية الدراسة مقدمة هذا الكتاب.

٢. الأماكن التي يمضي فيها الشباب أوقاتهم

أ. **المكان الخاصّ:** يمضي الشباب السوريون معظم أوقاتهم وفق تعبيرهم في المنزل، وأفاضوا في الكلام عن البقاء في المنازل حتى بلغ كلامهم (١١٩٠) كلمة، فقالت شابّة: «أكثر أوقاتنا تكون في المنزل»، وأضافت أخرى: «بيتنا أرضي، أجلس أمام البيت مع أخواتي»، وذكر آخر: «لا أبارح المنزل إلّا إلى عملي في الصيدليّة». ويشمل ذلك أيضاً زيارة الأقارب في منازلهم، إذ قالت شابّة: «زيارة بعض الأقارب في المخيّم أو في مخيّمات أخرى»، كذلك زيارة الأصدقاء في منازلهم، كما في قول إحداهن: «أذهب إلى صديقاتي وأقضي وقتي معهن وهن قريبات إلى بيتنا»، وقول أحدهم: «بحب روح لعند رفيقي، منشرب متة ومندردش». وقد لا يكون البقاء في الأماكن الخاصّة هو الخيار الأمثل للشباب، غير أنه يمكن أن يكون خيار الضرورة في ظلّ ظروف الحرب والنزوح، وما يرافقهما من ميل إلى الانغلاق على المجتمع الخاصّ بحثاً عن مزيد من الأمن والأمان، في مقابل الاندماج في مجتمع البلد المُستضيف، مع ما يطرحه الأمر من تحدّيات بين القبول والرفض.

ب. **مكان عامّ للتسلية:** تنوّعت الأماكن العامّة المُخصّصة للتسلية التي يقصدها الشباب لتمضية أوقاتهم وتوزّعت على:

الذهاب إلى **البحر**: لكن يبدو أن هذا الخيار ليس مُتاحاً أمام جميع الراغبين به، يذكر شاب: «أنا لديّ أوراق قانونيّة وهذا ما ريّحني، أذهب إلى البحر»، فيما يقول آخر: «أحبّ أن أقضي وقتي على البحر، لكن لا أقدر على ذلك»، وبالنسبة إلى بعض الشابّات يكون ذلك برفقة الأهل حصراً، حيث أوضحن: «وإذا خرجنا مع أهلنا في الصّيف (نخرج ثلاث مرّات طيلة الصّيف) فإلى البحر». كذلك قد لا تكون هذه الفرصة مُتاحة، إذ ذكرت شابّة من مخيّم صور: «أتمنّى لو أذهب إلى كلّ مكان أروّح فيه عن نفسي، ولكنّنا لا نستطيع، ولكن لا ننزل على الخيم (وهنا المقصود خيم شاطئ صور)».

الذهاب إلى **مدينة الملاهي:** يقول شاب: «أخرج مع رفاقي إلى الملاهي»، ويبدو أن **المنتزه والحديقة العامّة** هما ضمن خيارات الشباب العائليّة، كما أوضح أحدهم: «أحبّ أن أصطحب أولادي إلى منتزه ما كي يلعبوا وأرتاح قليلاً»، وعبّر آخر: «إلى المنتزه مع أبي وأمي».

الذهاب إلى القهوة: هو مكان متاحٌ للشباب والشابّات على حدّ سواء. دوّن مُقرِّر إحدى مجموعات الشباب: «أكّد المشاركون أن أكثر مكان يتواجدون فيه هو قهوة الحيّ مع أصدقائهم»، وذكرت شابّة: «أذهب إلى الكافيه وأشرب النرجيلة مع صديقاتي»، لكن أوضحت بعضهن أن الذهاب إلى القهوة قد يكون مشروطاً برفقة الأهل، كما قالت إحداهن: «نذهب إلى الكافيه مع أصدقائنا أو أهلنا».

التسكّع في الطرقات: قال أحدهم: «مع الأصحاب على الطريق»، وقال آخر إنّه «يمضي وقته بالتنقّل على الدرّاجة الناريّة من دون أي هدف أو وجهة».

الأنشطة الثقافيّة: وهي من حصّة الإناث عموماً. ذكرت إحداهن: «جمعيّة المواساة. فأنا متطوّعة معهم»، وقالت أخرى: «متطوّعة مع كاريتاس (نلعّب الأولاد) ونساعد ذوي الاحتياجات الخاصّة والأيتام»، وثالثة: «أذهب يومياً إلى مركز التدريب النسائي، كلّ يوم عندنا نشاطات».

المشاركات الرياضيّة: كانت جميعها من نصيب الشباب الذكور. ذكر شاب: «النادي (Gym)»، وأشار آخر في قوله إلى «الملعب»، كما جاء جواب أحدهم أكثر تحديداً: «ملعب فوتبول مع أصدقائي نشكّل فريق كرة قدم».

تنمية هواية وتعلّم: جاء التعبير عن هذا النوع من النشاطات في عدد قليل من الكلمات، لم يصل إلى مئتي كلمة، غير أن كلّه جاء على لسان الشابّات. ذكرت شابّة: «في الجمعيّات نقوم بدورات تدريبيّة»، وقالت أخرى: «أقرأ الكتب وأتبادلها مع زملائي»، وأضافت مشاركة أنها «تستعير من مؤسّسة عامل كتباً إضافيّة»، وأشارت شابّة في قولها إلى «التطريز والكتابة وشغل الكروشيه»، وأخرى: «الرسم وتصميم الأزياء».

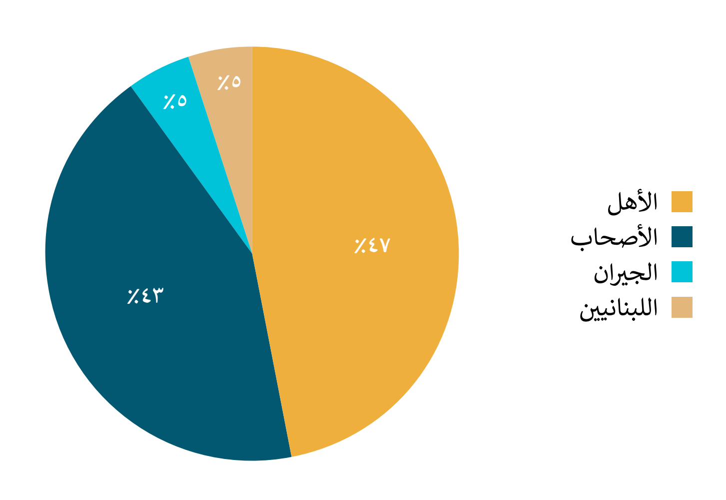
الترفيه عن النفس: ذكر الشباب بعض النشاطات التي يكون هدفها الترفيه وبعث الهدوء في النفس فقط، ومنها الحدائق والمنتزهات والجلوس في أماكن خضراء، حيث قالت شابّة: «نتمشّى على الكورنيش»، وقالت أخرى: «نخرج سويّة لنتفرّج على محلّات الثياب»، وذكر واحد منهم أنّه «يمضي وقته بالتنقّل على الدرّاجة الناريّة مع أصدقائه».

دور العبادة: أشارت قلّة قليلة إلى دور العبادة كملجأ لها عند ترك المنزل، ولكن لم يتعدَّ كلامهم عنها الـ ٥٩ كلمة. أوضح أحدهم: «الذهاب إلى الجامع لندعو ونشكو إلى ربّ العالمين».

الألعاب والتسلية: يظهر من مشاركات الشباب بقاءهم لأوقات طويلة أمام الشاشات بهدف التسلية واللعب، مثل شاشة التلفون. قال شاب: «أقضي الوقت على الهاتف الجوّال»، وأخرى: «أقضي الوقت الفارغ على التلفاز في مشاهدة مسلسلات سوريّة ومسلسلات تركيّة وألعاب الفيديو»، أو ألعاب تسلية كما ذكر أحدهم: «نلعب ورق الشدّة».

٣. بصحبة من تقضون وقت فراغكم

عند طرح السؤال على الشباب السوريين النازحين حول المكان المفضّل الذي يقضون أوقاتهم فيه، تركّزت إجاباتهم على أماكن خاصّة أي في المنازل والمخيّمات. من هنا، يمكن أن نفهم أن هذه الأوقات تكون مع المتواجدين في هذه الأماكن، وتأتي العائلة في مقدمتهم، والأهل والأقارب، وبعدها الأصحاب والجيران، وهذا بالضبط ما عبّروا عنه:



العائلة: ذكر الشباب أنهم يكونون برفقة أهلهم خلال تمضية أوقات فراغهم في المنزل، قالت شابة: «مع الأهل نشرب الشاي وأحياناً نلعب ورق الشدّة»، ويرافقونهم خلال زيارات الأقارب، حيث قالت شابّة «نزور أقاربنا مع أهلنا»، كذلك يخرجون برفقة الأهل إلى أماكن مختلفة، إذ أوضحت مشاركة من مخيّم صيدا: «أخرج مع أمي خارج صيدا عند رفيقتها أو إلى المنتزه مع أبي وأمي».

الأصحاب: يأتي الأصحاب من الجنسين في المرتبة الثانية بعد الأهل لجهة تفضيل الشباب تمضية الوقت برفقتهم. قالت شابّة:» أذهب مع رفيقاتي خارج المنزل أحياناً في شارع المخيّم»، وقال شاب:« في الحيّ مع الأصدقاء على الأركيلة».

الجيران: يبقى للجيران حصّتهم القليلة جدّاً بالمقارنة مع العائلة والأصحاب. أوضح أحد الشباب: « أذهب لعند الجيران ألتقي رفاقي»، وأخبرت شابّة أنّها: «تقضي الوقت في الخيمة مع جارتها وأختها في أحاديث النساء».

اللبنانيون: وفق تعبير الشباب السوريين، تشكّل العلاقة مع اللبنانيين شكلاً من الحماية ضدّ العنصرية والاستقواء الذي يمارس اتجاههم، فقال أحدهم: «أذهب إلى القهوة لكن نادراً وبصحبة لبنانيين كي أتفادى المشاكل»، وأضاف آخر: «أذهب أحياناً مع رفاق لبنانيين إلى البحر كي أحمي نفسي».

٤. الأماكن الممنوعة أو المتعذّرة عليهم

تحدّث الشباب عن معوِّقات عديدة تجعل أماكن الترفيه غير مُتاحة أمامهم، بعضها مرتبط بظروف النزوح مثل الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة، والانهماك بالعمل، والعنصريّة من اللبنانيين المضيفين، بالإضافة إلى بعض المعوّقات المرتبطة بثقافة الشباب السوريين وعاداتهم وتقاليدهم ومنها؛ السلطة الاجتماعيّة الذكوريّة، والانشغال بالأعمال المنزليّة الملقاة على الشابّات حصراً، وهذا ما أبيّنه أدناه.

الظروف الاقتصاديّة: تشكّل الظروف الاقتصاديّة الصعبة أحد أهم العناصر المؤثّرة في تحديد النشاطات المُتاحة أمام الشباب للترفيه عن أنفسهم، فهي تضيّق عليهم، وهذا ما عبّروا عنه بقوّة في شهاداتهم، قالت شابّة: «لا يسمح وضعنا المادي، الكلّ يتمنّى ذلك لكن ليس باليد حيلة»، وذكر مُقرِّر إحدى الجلسات عن لسانهم: «يجلسون مع الشبان في الحيّ يدخنون النرجيلة لأنّهم غير قادرين على الذهاب إلى مكان آخر».

العنصريّة: تبقى العنصريّة التي يشعرون بها في بلد النزوح من أهمّ الأسباب التي تعيق ممارستهم لبعض الأنشطة الترفيهيّة في أماكن مُتعدّدة مثل البحر. ذكر أحد الشباب: «أحياناً نذهب إلى البحر ولكنّنا نتعرّض دائماً للتحرّش من لبنانيين لأننا سوريين فقط، لذلك بتنا نتحاشى الذهاب». يحصل الأمر نفسه في القهوة وفق قول أحدهم: «أحبّ أن أذهب إلى القهوة، لكنّني تعرّضت لمشاكل مع لبنانيين يريدون دائماً افتعال مشكلة معي»، أو في ملعب كرة القدم، إذ أضاف آخر: «أذهب إلى ملعب كرة القدم للمشاهدة فقط لأنّهم لا يسمحون لي باللعب معهم».

انشغال بالعمل: ذكر أحد المشاركين أنه «يقضي معظم وقته في العمل، ونادراً ما يحظى بوقت فراغ، لكنّه يتمنّى لو يتسنّى له لعب كرة القدم، فهي نشاطه المفضّل».

ممانعة الأهل وخوفهم: قد يمانع الأهل خروج بناتهم تحديداً بسبب خوفهم عليهن، ما يحرمهن من فرص المشاركة في العديد من النشاطات وأشكال الترفيه. تذكر شابة: «الأهل لا يسمحون لنا بالخروج». وقد تتبنّى الشابّات هذه المخاوف، وهنا تؤكّد واحدة منهن: «نخاف من الخروج بالسيّارات لوحدنا خوفاً من التحرّش بنا. هذا أمر يرفضه الأهل ونحن لا نقبل به».

السلطة الاجتماعيّة: يبدو أن السلطة الاجتماعيّة تمارس ضوابطاً وضغوطات على خيارات الشابّات بما تمثّله من سلطة ذكوريّة. ذكرت إحداهن أنّها «تخاف من كلام الناس»، ونقلت ما يقال لها» الناس بتاكلكم بعيونها»، وقالت ثانية: «يقولون لها مين رايحة تقابلي؟»، وأكملت ثالثة: «أو عندما تعود مع مين كنت؟»

ثانياً - طلب المساعدة

طُرح السؤال التالي على الشباب: إلى من تلجؤون عادة طلباً للمساعدة أو الدعم إذا تعرّضتم لمشكلة؟ أو من يشعركم بالحماية في مجتمعكم؟

١. الاتجاه العام

تلجأ الأكثرية ضمن ٣٤ من أصل ٤٨ مجموعة إلى الأهل والأقارب والجيران لطلب المساعدة في حال تعرّضها لمشكلة ما، في حين تلجأ الأكثرية ضمن أربعة مجموعات فقط إلى السلطات العامّة والمنظّمات السياسيّة، وهو عدد متدنٍ جدّاً. توزّعت الأكثرية ضمن ثلاث مجموعات على طلب المساعدة من جهات عدّة، وعوّلت الأكثرية في مجموعتين على الأصدقاء والمعارف في طلب المساعدة، في حين تحدّث أفراد مجموعة واحدة عن اللجوء إلى جهات عدّة، وانقسمت أربع مجموعات في إجاباتها على تحديد الجهة التي يتوجّه إليها أعضاؤها لطلب المساعدة.

٢. الجهات التي تُطلب منها المساعدة

الأهل والأقارب والجيران: أشرنا سابقاً إلى أن الأكثرية ضمن ٧١٪ من المجموعات تتوجّه إلى الأهل والأقارب والجيران لطلب المساعدة في حال تعرّضهم لمشكلة ما، وهو ما يشير في مدلولاته إلى أن التضامن العائلي والمجتمعي قويّ جدّاً ضمن مجموعات النازحين، حيث وردت كلمة «أهل» في سياق الإجابة عن هذا السؤال ما يزيد على خمسين مرّة، وأحياناً ترافقت مع بعض الشرح أو الكثير من الوصف والتفسير، قال أحدهم: «ألجأ إلى أهلي»، وأضافت أخرى: «الأهل هم مصدر الحماية وهم السند الوحيد».

الأصدقاء والمعارف: قد يلجأ الشباب السوريون النازحون إلى أصدقائهم لحلّ مشاكلهم أو الفضفضة معاً، قالت شابّة: «ألجأ إلى صديقتي»، أو إلى أرباب العمل طلباً للتدخّل، إذ أشار شاب: «صاحب المحل الذي أعمل عنده». أيضاً يتوجّهون إلى شاويش المخيّم، وقد قال مشارك إنّهم «يلجؤون إلى الشاويش (مسؤول عن المخيّم)»، كذلك يحتمون بمن لديه القدرة على إحداث توازن قوى، بحيث يستعينون بمالكي الأراضي اللبنانيين لهذا الغرض، ذكر شاب: «أقصد صاحب الأرض لأنه يستطيع التفاهم مع اللبنانيين الذين يفتعلون المشاكل معنا»، أو أصدقاء ومعارف من اللبنانيين، ويوضح شاب من مخيّم المحمّرة: «لديّ بعض الأصحاب اللبنانيين في المحمّرة، أستعين بهم عندما أتعرّض لأي تهديد من أحد، وخصوصاً في المحمّرة».

سلطات عامّة ومنظّمات دوليّة: نجد أن الأكثرية ضمن أربع مجموعات فقط من أصل ٤٨ مجموعة يتوجّهون إلى السلطات العامّة والمنظّمات الدوليّة لطلب المساعدة، في حين تقع مسؤوليّة حماية النازحين داخلياً، وحمايتهم بالدرجة الأولى، على عاتق الحكومات المُستضيفة، وهو ما يعني أنّ الدولة اللبنانيّة هي المسؤولة عن النازحين، أو المنظّمات الدوليّة التي أخذت على عاتقها قضاياهم وتتوزّع بين ثلاث فئات: الهيئات والمؤسّسات العامّة: وكان لدى الشباب مجموعة من الخيارات، إذ ذكر شاب: «وجهاء البلدة، مختار، رئيس بلديّة»، وقالت شابّة: «إذا تعرّضت لشيء سيء ألجأ إلى الدرك»، وذكر آخرون: «الجيش والشرطة».

أمّا **المنظّمات والجمعيّات الدوليّة** فيُقصد بها المفوضيّة السامية للأمم المتّحدة لشؤون اللاجئين، وقد ذكرت شابّة: «أيضا نلجأ للشكوى لدى مكاتب المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين»، وقالت أخرى: «هناك جمعيّات متخصّصة يمكننا أن نلجأ إليها لطلب المساعدة مثل المجلس النرويجي (NRC)»، كذلك يتوجّهون إلى جهات دبلوماسيّة، يقول أحد المشاركين إنّه «يلجأ إلى السفارة السوريّة». أيضاً، يتوجّه الشباب من الجنسين إلى **الجمعيّات المحلّيّة** التي لا تتوخّى الربح على حدّ سواء، وذكر شاب: «أحياناً أسأل الجمعيّات، مؤسّسة عامل»، وقالت شابّة: «بعض الجمعيّات تساعدني».

الأحزاب والمنظّمات السياسيّة: يحتمي النازحون السوريون بالأحزاب والقوى السياسيّة المُسيطرة على المناطق التي يسكنونها، فقال أحدهم: «يذهب إلى حزب الله لمساعدته كما حصل معه مرّة أثناء تعرّضه لعمليّة ضرب وسلب من شباب المنطقة»، وأضاف آخر: «أنا ألجأ إلى جهة سياسيّة (لم يقل اسمها)»، أو يستعينون بأصحاب النفوذ، وفق ما ذكر أحد المشاركين: «مسؤول المنطقة (شخص نافذ)».

جهات دينيّة: لا يجد قلّة من الشباب إلّا الله ملجأً لهم، وفق قول أحدهم: «إلى الله فقط»، أو رجال الدِّين، وقد قال أحدهم: «شيخ». وإن كان هذا التوجّه ينسجم مع ثقافتهم الدينيّة، إلّا أنّه قد يحمل في دلالته فقدان الثقة بالجهات الموجودة محلّياً، وعبّرت شابّة: «من المفترض أن تحمينا منظّمة الأمم ولكنّهم يغضون البصر عنّا، فنلجأ إلى الله، في كلّ أمورنا نشكو لربّ العالمين».

٣. تسويغ طلب المساعدة

يعود الشباب في تحديد الجهة التي يلجؤون إليها لحلّ مشاكلهم إلى معايير عدّة منها؛ حجم المشكلة ونوعها، التفهّم والثقة بالجهة الداعمة، قدرة هذه الجهة على تقديم الدعم المالي، امتلاكها السلطة والنفوذ، أو إمكانيّة توفير الأمن.

حجم ونوع المشكلة: يتوجّه الشباب السوريون النازحون إلى جهات مختلفة لطلب المساعدة وفق طبيعة المشكلة، تقول مشاركة: «حسب المشكلة أطلب المساعدة»، وأضاف أحدهم: «حسب نوع المشكلة». ففي حال كانوا أمام مشاكل أمنيّة يتوجّهون إلى القوى الأمنيّة المسؤولة عن حفظ الأمن، قالت شابّة: «إذا كانت مشكلة كبيرة ممكن أن نقول للدرك»، وإذا قيّموا المشكلة الأمنيّة على أنها أقلّ خطورة يطلبون تدخّلاً على مستوى محلّي من خلال البلديّات، ووفق مُقرِّر إحدى الجلسات: «تحدّث المشاركون عن أن ملجأهم الوحيد هي البلديّة عندما يتعدّى عليهم أهل البلدة، وقد يستقوون بمالك الأرض حيث يقيمون مخيّماتهم، وقد قال أحدهم: «إذا مع اللبنانيين أروح لصاحب الأرض».

في مواجهة المشاكل الصحّيّة يراجع الشباب النازحون المفوّضيّة الساميّة للأمم المتّحدة لشؤون اللاجئين لأنها المعنيّة بالجانب الصحّي للنازحين، وقالت شابّة: «أيضاً نلجأ إلى الشكوى لدى مكاتب المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين وخصوصاً في أمور الصحّة والاستشفاء».

أمّا فيما يخصّ المشاكل الاجتماعيّة والعائليّة والعاطفيّة، فقد كان هناك إجماع على حلّ هذه المشاكل ضمن إطار العائلة والمجتمع، وأوضحت شابّة: «ألجأ إلى والدتي إذا كان شيئاً شخصياً».

التفهّم والثقة: يبحث الشباب عن شخص يثقون بأنه قادر على تفهّم مشاكلهم، ولا يحكم عليهم، قالت شابّة: «أنا ليس لديّ غير أمّي لأن أي شخص آخر (يفضحني)». قد لا تجمعهم بهؤلاء الأشخاص صلة قرابة بل مواصفات معيّنة، إذ عبّرت أخرى: «الدعم ليس بالضرورة أن يكون من الأهل، ربّما يكون من شخصٍ أثق به».

القدرة على الدعم المالي: يتّجه الشباب إلى من لديه القدرة الماليّة على المساعدة في حال التعرّض لمشكلة ماديّة، ويأتي في الدرجة الأولى الأهل والأقارب، وقالت شابّة: «عندما تعترضنا مشكلة حول إيجار الخيمة نلجأ إلى الأقارب»، وتحديداً من تتوفّر لديهم هذه الإمكانيّات، فيما أشارت أخرى: «نطلب المساعدة الماديّة من الأقرباء في أوروبا»، وقد تتوسّع هذه الدائرة لتشمل الجيران خصوصاً في تلبية الحاجات الأساسيّة، وقد ذكرت إحداهن: «جارتي، وخصوصاً عندما يريد صاحب المنزل طردي عندما لا أسدد الإيجار له».

امتلاك السلطة والنفوذ: يلجأ بعض الشباب إلى مسؤولين في السلطة بصفتهم الشخصيّة لحلّ المشاكل التي يتعرّضون لها، وقال أحدهم: «أذهب إلى أحد اللبنانيين الواصلين بالدولة لمساعدتنا في حل مشكلة قانونيّة». وقد تكرّر هذا الأمر كثيراً، «عميد متقاعد يعرفه أحد أقاربي»، وذكر آخر: «لديّ بعض الأصحاب اللبنانيين النافذين والأقوياء»، فيما ذكر شاب آخر: «ألجأ إلى صاحب الأرض وهو شخص معروف ويحمينا».

كذلك يلجؤون إلى القوى الحزبيّة الموجودة على الأرض لحلّ مشاكلهم، قال شاب: «مسؤول المنطقة شخص نافذ»، وقال آخر إنّه «يذهب إلى حزب الله لمساعدته كما حصل معه مرّة أثناء تعرّضه لعمليّة ضرب وسلب من شباب المنطقة». بفعل النزوح تتشكّل علاقات جديدة، إذ ذكر شاب أنهم «يلجؤون إلى الشاويش (مسؤول عن المخيّم)».

توفير الأمن: قد يتعرّض النازحون لمشاكل تهدّد أمنهم، وفي هذه الحالة يلجؤون إلى من يجدون لديه القدرة على حمايتهم مثل المنظّمات الدوليّة، ويقول أحد الشباب: «نشكو إلى الأمم عندما تكون المشكلة لها علاقة بأمننا».

٤. نوع المشكلة وشكل المساعدة المطلوبة والجهة التي تقدّمها

يتعرّض الشباب السوريون النازحون لمشاكل عدّة، ويعود لطبيعة كلّ مشكلة أن تفرض الجهة التي يمكن التوجّه إليها لطلب المساعدة، وتحديد نوع المساعدة والدعم المرجوة، ويمكن توزيعها على الشكل الآتي:

نوع المشكلة	نوع المساعدة	الجهة	شهادات الشباب المشاركين
مشاكل أمنيّة	حماية	الدرك، الأحزاب، والهيئات الفاعلة	◂ «نشكو إلى الأمم عندما تكون المشكلة لها علاقة بأمننا». ◂ «يذهب إلى حزب الله لمساعدته كما حصل معه مرّة أثناء تعرّضه لعمليّة ضرب وسلب من شباب المنطقة». ◂ «ملجأهم الوحيد هي البلدية عندما يتعدّى أهل البلدة عليهم». ◂ «لديّ بعض الأصحاب اللبنانيين في المحمّرة أستعين بهم عندما أتعرّض لأي تهديد من أحد». ◂ «كبير العائلة في المخيّم». ◂ «أقصد صاحب الأرض لأنّه يستطيع التفاهم مع اللبنانيين الذين يفتعلون المشاكل معنا، وهو شاويش المخيّم».
مشاكل صحّيّة	خدمات صحّيّة	المفوّضية الساميّة للأمم المتّحدة لشؤون اللاجئين	◂ «أذهب إلى الأمم المتّحدة عند الوقوع في مشاكل صحّيّة، تلوّث المياه – طبابة».
مشاكل ماليّة	دعم مالي	العائلة، الأهل، الجيران، اللبنانيين	◂ «ألجأ إلى أهلي، خصوصاً في المسائل الماديّة، عندما أحتاج إلى ذلك، أطلب من أختي مساعدة ماديّة». ◂ «يمكن الاستعانة بالجيران مع وجود حاجة ضروريّة وأساسيّة كتأمين بدل إيجار المسكن». ◂ «أحياناً نستدين من ربّ العمل على الحساب».
مشاكل عاطفيّة	استشارة	الأهل	◂ «لا أتجرّأ على إخبار الأهل عن مشاكلي العائليّة، ألجأ إلى صديقاتي فقط». ◂ «ألجأ إلى أمي». ◂ «تخبر أمها وإذا القصة فيها (شباب) تخبر خالتها».
مشاكل اجتماعيّة	الدعم	المنظّمات الدوليّة الناشطة، البلديّة	◂ «أشكو للمنظّمات الدوليّة». ◂ «لجأنا إلى البلديّة عندما حدث وتحرّش أحد أبنائه ورفاقه بشاب من المخيّم وحاولوا استفزازه مراراً وعمل رئيس البلدية على حلّ الأمر، كذلك في تأمين الخدمات الأساسيّة».
مشاكل عائليّة	الدعم والاستشارة	العائلة والمجتمع	◂ «نصيحة رجل دين وخصوصاً في الأمور الزوجيّة».

٥. تسويغ عدم طلب المساعدة

لدى الشباب أسباب تمنعهم من طلب المساعدة في حال تعرّضهم للمشاكل، تعود إلى عدم توفر المعايير المطلوبة للاستعانة بجهة معيّنة، أو تجنّب اللجوء إلى جهات معيّنة بناءً على تجارب سابقة غير مُرضية، منها:

عدم الثقة: فقد الشباب الثقة بالجهات المسؤولة عن حمايتهم وتحصيل حقوقهم والسهر على أمنهم، من ضمنها القوى الأمنية المعنيّة، نتيجة بعض المواقف. هنا سردت إحدى المشاركات أن أحد المتعقّبين على الإنترنت «يستخدم صورته وصورة ابنتها ويحاول ابتزازها لإقامة علاقة معها، فأخبرت الأمن العام عنه ولكن شيئاً لم يحصل»، ففقدت ثقتها بالجهات المعنيّة التي ترفض مساعدتهم وكأنها غير مسؤولة أو معنية بأمنهم. قدّم آخر شهادة مفادها أن **البلديّات** أيضاً لا تساعدهم، وذكر «حادثة صدم أحد أقربائه ورفض البلديّة إعطائهم صور الكاميرات التي تظهر الفاعل»، وهو ما اعتبره تغطية على اللبناني الذي صدم السوري، ما شكّل أحد أسباب عدم شعورهم بالأمان. أيضاً، هذه حال بعض **الأحزاب والقوى السياسيّة** المُسيطرة التي لا تقدّم لهم الدعم عندما لا يخدم ذلك مصالحها وفق تعبيرهم: «حاولت الاحتماء بأحد الأحزاب هنا لكنّهم خذلونا، يريدون استخدامنا بالفتنة فقط، ولا تهمّهم مصلحتنا».

عدم وجود شبكات داعمة: يشكو بعض الشباب النازحين من عدم توفّر شبكات دعم تساندهم في تخطّي العقبات والمشاكل التي تواجههم، ووفق مُقرِّر الجلسة: «أجابت الغالبية أن أعضاءها لا يطلبون المساعدة من أحد لأنهم سوريون ولا يساعدهم أو يساندهم أحد للحصول على حقوقهم، ويرفضون التواصل مع الدولة والقوى الأمنيّة لأنهم لا يملكون غالباً أوراقاً ثبوتية أو دخلوا إلى لبنان خلسة»، ويعتبرون أن الدولة اللبنانيّة غير معنيّة بأحوالهم، وفق ما عبّرت مشاركة: «إنّهم آخر المعنيين بأمر النازحين»، وفي قول أحد آخر، باعتبارهم نازحين غير محميين فإن «الدولة لا تأبه لهم وتعاملهم بدونيّة، وبالتالي هم لا يشعرون بأنّهم محميين».

عدم تفهّم الأهل: يرفض الشباب السوريون الاستعانة بمن لا يظهرون تفهّماً لمشاكلهم أو يشكّلون مصدر خوف لهم، وغالباً كانوا يقصدون الأب. قالت شابّة: «أبي عصبيّ جدّاً ويمكن أن يضربني»، وقالت أخرى: إذا أخبرت أبي بصير على سكّة حلب (وتقصد هنا الإعدام)». قد يتخذ الأخ هذا الدور لأنّه امتداد لهذه السلطة الذكوريّة، إذ قالت شابّة: «ألجأ إلى أمّي لأنّها لا تقسو عليّ مثل الأب والأخ. يا ويلي، أخي مستحيل، أنا ما بسترجي».

الاعتماد على النفس: ينحو الشباب في العادة نحو الاستقلاليّة من خلال الاعتماد على الذات، البعض منهم لا يطلب المساعدة حرصاً على التمسّك باعتمادهم على ذاتهم، وهذا موقف بعض الشباب، إذ ذكر أحدهم: «أحمي نفسي بنفسي، أفضل الاعتماد على نفسي، أحاول أنّ أجد لها حلّاً بنفسي»، كذلك قد يعبّر الاعتماد على النفس عن موقف الشابّات، إذ تقول شابّة: «في ضغوطات كثيرة بتواجهنا، ونحاول أن نحلّها بمفردنا إذا استطعنا».

ثالثاً - سبل معالجة مشاكل المجتمع

السؤال الذي طُرح على الشباب هو التالي: ما هي أفضل السبل برأيكم لمعالجة مشاكل المجتمع من حولكم؟ وهل أنتم على استعداد للمشاركة فيها؟

١. الاتجاه العام

عندما تتوزّع إجابات المشاركين عن رأيهم في حلّ مشاكل مجتمعهم على مروحة واسعة من الخيارات تصل إلى تسعة، ذلك يعني عدم وجود رؤية واضحة ومُحدّدة أو متوافق عليها حول كيفية التعامل مع هذه المشاكل. وباستثناء توافق الأكثرية في ١٤ من أصل ٤٨ مجموعة على أن سبيل معالجة مشاكل المجتمع هي بالعمل الفكري والتوعية، نقف أمام أربع مجموعات فقدت الأكثرية فيها الأمل من معالجة مشاكل المجتمع، واثنتين اعتبرت أن سبيل معالجة مشاكل المجتمع هي بالعمل التطوّعي، فيما اعتبرت مجموعة واحدة أن سبيل معالجة مشاكل المجتمع هي بالعمل السياسي، وأخرى هي بالعمل الديني، وشهدت باقي المجموعات انقساماً بين العمل السياسي، والعمل الفكري والتوعية، والعمل التطوّعي والعمل الديني معاً. إلى ذلك، لم تعبّر ٢١ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز عن موقفها، ويعكس حجم الكلام التوزيع نفسه تقريباً.

٢. العمل الفكري والتوعية

قدّم أكثر من ثلاثين شاباً نازحاً رأياً يفيد بأن التوعية والتفاهم هما الطريق لحلّ المشاكل التي يتعرّضون لها، ذكرت شابّة: «أي حلّ سلمي خالٍ من المشاكل يتخلّله حوار وتفاهم بين البشر (توعية)». ويكون نشر الوعي من خلال الجمعيّات، فوفق إحدى مقرّرات المجموعات: «أجمعت غالبية المشاركات على أنّ الحلّ لأي مشكلة يكمن في الحوار والعلم والثقافة بين المجتمع، واعتبرن أن الجمعيّات يساهمن في نشر هذه الثقافة»، وهو ما يتأمّن من خلال إشراك المدارس والجمعيّات والبلديّات، وتقول إحدى المشاركات إن «الحلّ يكمن في عمليّة نشر لغة الحوار والثقافة من خلال الندوات الاجتماعيّة والعلم عبر الجمعيّات والمدارس»، وقالت شابّة إنّها «تحب أنّ تشارك بحملة توعية مع البلديّة»، ومن خلال وسائل الإعلام إذ أوضحت شابّة: «نشر التوعية عبر (Social Media) لأن الشباب هم من يستعملونها».

٣. العمل التطوّعي

انطلق الشباب من فكرة أنّ فوائد العمل التطوّعي تنعكس على الطرفين، ذكرت شابّة: «التطوّع لحلّ المشكلة، نعلّم ونتعلّم الصحّ»، وعوّلت الشابّات على دور التطوّع في زيادة فرصهم في الانخراط الاجتماعي وفق ما دوّنته مُقرّرة إحدى المجموعات: «واعتبرت المشاركات أنّ تدريب الشباب والشابّات وإعطاء الفتيات دوراً في المجتمع هو أفضل حلّ»، وتنوّعت أعمال التطوّع بين تعليم الأطفال وتقديم مساعدات إلى المحتاجين، قالت شابّة: «أقدّم مساعدات ماديّة إلى الأيتام والمحتاجين»، وذكر شاب: «مساعدة بتعليم الأولاد الصغار».

٤. فقدان الأمل من العمل

يبقى بين الشباب من فقد الأمل نظراً إلى الظروف والأوضاع التي يعيشونها بسبب النزوح، ذكر شاب: «أنا لا أرى حلولاً (يئِست من الوضع)»، أو بسبب تجارب فشلوا خلالها في حلّ مشاكلهم ويرون أنّها تطغى على حياتهم، إذ عبّرت شابّة: «كلّ حياتنا مشاكل، منحسّ وجودنا بالحياة مشكلة»، وتفاقم الشعور بفقدان الأمل إلى الشعور بالعجز، حيث دوّنت إحدى المُقرِّرات: «إجماع الموجودات على شعورهن بالعجز وعدم القدرة على المساهمة بحلّ أي مشكلة».

٥. العمل السياسي

حضر بخجل الارتكاز إلى العمل السياسي للتصدّي للمشاكل التي يواجهها الشباب السوري، وهذا قد يعكس خيبة أمل يعيشها الشباب من عدم قدرة السياسة على حلّ المشاكل والتصدّي لها، خصوصاً أنّ الشباب السوري لم يختبر الحياة السياسيّة لا في السلم ولا خلال الحرب، والكلام هنا كان خجولاً جدّاً، وعن السياسيين لا عن دور الشباب في السياسة، إذ قالت شابّة: «العمل السياسي لأن السياسيين وحدهم قادرين على حلّ المشاكل»

٦. العمل الديني

جاءت بعض الحلول المُقدّمة مُرتبطة بالجمعيّات الدينيّة باعتبارها مرجعاً يمكن الوثوق به لحلّ المشاكل التي يتعرّضون لها، واستخلصت مُقرِّرة إحدى المجموعات: «اعتبرن أنّ المؤسّسة الدينيّة مسؤولة عن التدخّل لردع الناس عن الخطأ»، وتحديداً المشاكل الدينيّة، ومما ذكرته إحدى الشابات: «العمل الديني لحلّ الخلافات بين الطوائف المختلفة (سني – علوي)»، واعتبر البعض أنّ العودة إلى الدِّيْن سوف تساهم في حلّ بعض المشاكل، إذ قالت فتاة: «أنا مع الدعوة الدينيّة، ففي منطقتي أشخاص كثيرون يسكرون، لا يردعهم سوى الدِّين».

٧. أنواع المشاكل التي يتعرّضون لها

تتنوّع المشاكل التي يعاني منها الشباب السوريون النازحون إلى لبنان، بعضها اجتماعي وبعضها الآخر سياسي أو اقتصادي أو خدماتي.

مشاكل اجتماعيّة: استفاض الشباب في الحديث عن المشاكل الاجتماعيّة التي يعانون منها، وعرضوا مشكلة التسرّب من المدرسة وعمالة الأطفال التي تعجز الدولة اللبنانيّة عن معالجتها، وقال أحد الشباب إن «الحلّ يكون بتوفير وظائف مناسبة لأعمار الأطفال ودوام مدرستهم، مثل بعض الأشياء التي يصنعونها داخل المنزل ولا يضطرون لترك المدرسة». كذلك لفتوا إلى مشكلة الأطفال المتسوّلين في شوارع لبنان، إذ قال أحدهم إنّ «مشكلة الشحّاذين وأطفال الشوارع تتطلّب تعاون كلّ المجتمع، ويمكن استخدام الأبنية المهجورة لإيوائهم».

وقالت شابّة إن «مشكلة الزواج المُبكر شائعة في العالم العربي ومن الضروري على الجمعيّات الحدّ منها عبر التعاون مع الأحزاب السياسيّة التي تمتلك القوّة لتغيير القانون، وأبرز مشكلة طُرِحت كانت تعليم الفتيات».

شكّلت البطالة، برأي غالبيّة الشباب من الذكور والإناث، أهمّ هذه المشاكل، قال أحد الحاضرين إنّ «أهمّ مشكلة هي البطالة، وهي من واجب الدولة وليس المنظّمات، وإنّ حلّها يجب أن يكمن في إنعاش قطاعات مثل الزراعة والصناعات اليدويّة».

مشاكل سياسيّة: يعتقد الشباب بأنَّ الحكومات في سوريا ولبنان تقوم بممارسات موجّهة لإبقائهم في حالة قلق وعدم استقرار، حيث قال شاب إنّ «معظم المشاكل تخلقها الحكومات كي لا يرتاح الشعب ويتفضّى لها، وإنّ لا حلّ سوى بالهرب من هذه البلاد»، وقال مشارك آخر إنّ «الحل يكمن ربّما في سجن كلّ السياسيين العرب».

في جانب آخر، عبّر البعض عمّا يعانيه السوريون النازحون من مشاكل على خلفيّة سياسيّة، حيث عبّر أحدهم قائلاً إنّ «أكبر مشكلة هي عدم تقبّل اللبنانيين لهم»، وأوضح أن «اللبنانيين زملاءهم بالمدرسة مثلاً لا يشاركونهم الزيارات والجلسات واللعب». عنصريّة اللبنانيين واضحة بالنسبة إليهم، إذ ذكر شاب أنّ «أكبر مشكلة بنظره، اليوم، هي نظرة اللبنانيين إلى السوريين وعنصريّتهم وكرههم لهم».

مشاكل اقتصاديّة: عبّر الشباب عن وجود مشاكل اقتصاديّة مُتزايدة يعانون منها مع أسرهم، ومنها البطالة وعدم الحصول على دخل ثابت أو عدم تأمين دخل يلبّي متطلّباتهم، خصوصاً مع امتداد الأزمة على مدار سنوات، وعبّرت شابّة عن الوضع بقولها: «الفقر هو أكبر المشاكل».

مشكل خدماتيّة: تحدّث الشباب والشابّات بإسهاب عن قضيّة النفايات في لبنان، وجاءت الخلاصة على لسان إحدى المشاركات في قولها: «استغرب أنّ دولة طويلة عريضة عاجزة عن أكياس الزبالة، والأسوأ يتهموننا بأنّنا نحن السبب». تناولوا مشاكل متنوّعة على هذا الصعيد، وذكرت مُقرِّرة إحدى الجلسات أنّ «معظم الموجودين تحدّثوا وركّزوا على مشاكل الصّرف الصحّي والقمامة في المخيّم، وعبّروا عن مدى إزعاج هذا الأمر وخطورته»، كذلك تحدّث شخص آخر عن «رغبته بحلّ مشكلة الكهرباء عبر استخدام سدود صغيرة».

٨. مدى الاستعداد للمشاركة في معالجة المشاكل

لدى بعض الشباب الاستعداد الكامل للمشاركة في التصدّي لمشاكل مجتمعهم، وتوقّفوا عند الاستعداد بالقوّة وليس بالفعل، أمّا البعض الآخر فانتقل إلى الفعل ومارسوا بعض المحاولات عملياً، وكان هناك مجموعة لم يكن لديها حتّى الاستعداد لخوض ذلك.

مستعدّون: عبّر الكثيرون عن استعدادهم للمشاركة في حلّ المشاكل التي يتعرّض لها أبناء مجتمعهم، وتحدّثوا عن الأمر (١٩٢ كلمة)، الذي جاء معظمه على لسان الشابّات المشاركات في مجموعات التركيز، فذكرت مُقرِّرة إحدى المجموعات: «معظمهن أكّدن أنّهن مستعدّات لتولّي مهمّة مماثلة، أبدت كلّ المشاركات رغبة بأن يشاركن بحلول لمشاكل المجتمع، وأجمعن على استعدادهن للمساعدة لأنّهن فئة هامّة في المجتمع، وقلن إنّ إعطائهن دوراً قد يساعد في زيادة الوعي».

مشاركون: كان لدى قلّة من الشباب مشاركات تطوّعية فعليّة ناجحة، وقال شاب: «سبق أن تطوّعت مع جمعيّات عدّة»، واختبر آخرون تجارب لم تتكلّل بالنجاح، إذ صرّح شابّ أنه «حاول المساهمة بالحلّ سابقاً، لكن عناصر البلديّة كانت تمنعهم من القيام بأي تغيير في المخيّم، فوافقه الحاضرون من دون ذكر تفاصيل». لم يتخطّ حجم هذا الكلام نحو ٤٨ كلمة.

غير مستعدّين: اعتبرت قلّة قليلة جدّاً أنّها غير معنيّة بالمساهمة في حلّ مشاكل مجتمعها، ولم يزد كلامها عن (٣٢ كلمة). ذكرت المُقرِّرة: «مشاركات لا فكرة لديهن ولسن مستعدّات لفعل شيء». واعتبر آخرون أنّ هذه المهام تقع على عاتق الدولة ومؤسّساتها، وذكر مُقرِّر إحدى المجموعات: «قالوا إنّ هذه وظيفة البلديّة والدولة فقط».

الخلاصة

يتوق الشباب إلى التحرّر من رعاية الأسرة وسلطتها للانطلاق إلى الفضاء الخارجي واختبار هذا النوع من الحياة، إلّا أن الشباب السوريين النازحين يجدون أنفسهم ملتصقين بأسرهم ويمضون فيها معظم أوقاتهم، وتمتدّ هذه الحياة إلى منازل الجيران ومنازل الأصدقاء وإن قلّت حصتهم. ما يستخرج من كلامهم يوحي أنّ التعاضد والتضامن العائلي والاجتماعي هو الأقوى ضمن مجموعات النازحين الشباب في لبنان.

يخضع اختيار الشباب للأمكنة والأنشطة لاعتبارات عدّة تحدُّ منها وتحصرها ضمن اتجاهات مُحدّدة. تشكّل عنصرية مواطني البلد المُضيف اتجاه النازحين الوافدين المانع الأكبر أمام خياراتهم، أضف أن النزوح وما يفرضه من أوضاع اقتصاديّة واجتماعيّة صعبة يجعل العمل أولويّة والترفيه غير المُكلف والمجّاني هو الوجهة.

يضيف الشباب إلى هذه المعوِّقات مجموعة خاصّة بالشابّات السوريات، التي تمنعهم السلطة الاجتماعيّة والأبويّة من التواجد خارج المنزل وفي الأماكن العامّة إلّا برفقة الأهل وحضورهم.

بالإجمال يتجّه الشباب إلى بعض الأماكن العامّة بهدف الترفيه والتسلية على حساب التمكين والثقافة والرياضة، ويبدو أن توزيع مشاركاتهم على الأنشطة يخضع للمعايير ذاتها، فالشباب الذكور يقصدون الأماكن الرياضيّة وترتاد الشابّات الأماكن الثقافيّة، ويتشاركون معاً في الأعمال التطوّعيّة.

يثق الشباب بالعودة إلى أهلهم لطلب الدعم في حال تعرّضهم للمشاكل، كذلك يثقون بالأصحاب، وقد يعودون إلى المنظّمات الدوليّة والفعاليّات المحلّيّة والحزبيّة، في مقابل العزوف عن اللجوء إلى المؤسّسات العامّة المعنيّة بحمايتهم في الأساس، إذ تبقى الدولة اللبنانيّة غير معنيّة بأحوالهم ومشاكلهم من وجهة نظرهم.

يبدو أن ثقافة القانون غائبة، أو على الأقل ضعيفة، وهو ما نعني به الاحتكام إلى القانون للبتّ في النزاعات والقضايا العالقة، حيث نجد أن الزعامات السياسيّة والحزبيّة وأصحاب النفوذ يشكّلون وجهة هؤلاء الشباب لحلّ مشاكلهم.

في حين تتركّز معظم مشاكلهم على تهديد أمنهم، نجد أن الغالبية تؤيّد التوعية كسبيل للتعامل مع ما يتعرّضون له أو العمل التطوّعي. قد يكون هذا التدخّل مفيداً من وجهة نظر الشابّات، أما الشباب فلا يتأمّلون كثيراً، ويبقى العمل الديني والسياسي تأثيره محدود بالنسبة إلى غالبيتهم.

يُعبّر الشباب عن استعداد عالي لتقديم المساعدة في حلّ مشاكل مجتمعهم، إلّا أن عدداً محدوداً منهم شارك في تجربة المساعدة، ويرى عدد أقل أن الأمر ليس من شأنه بل من اختصاص السلطات المعنيّة.

الشباب اللبناني في البيئات المُهمَّشة بين الانخراط والانكفاء

ماريز يونس*



*أستاذة علم الاجتماع في الجامعة اللبنانيّة

مُقدّمة

إنّ علاقة الشباب اللبناني في البيئات المُهمَّشة بالفضاء العامّ ليست واضحة وجليّة ومحسومة بل قضيّة إشكاليّة. عادة يتمّ الربط بين الشباب والتمرّد والشغب، أو بين الشباب واللهو، وأحياناً بين الشباب والمسؤوليّة. ثمّة أدبيّات كثيرة تناولت الشباب، وأدبيّات أخرى تناولت البيئات المُهمَّشة، لكن ما يهمّنا في هذه الدراسة هو التعرّف إلى علاقة الشباب في البيئات المُهمَّشة بالفضاء العامّ، أي المجال العامّ، وما إذا كانت علاقة انخراط والتزام أم علاقة انكفاء؟

المجال العام هو مفهوم صاغه يورغن هابرماس Habermas في العام ١٩٨٩، وعرّفه بأنّه « ظاهرة اجتماعيّة أوّليّة شأنها شأن الفعل والفاعل، والجمعيّة والجماعة، لكنّها ظاهرة تستعصي على المفاهيم التقليديّة للنظام الاجتماعي التقليدي»[٢]. يُعتبر المجال العامّ عنده تابعاً لسلطة الدولة والطبقة الحاكمة، بينما يقتصر المجال الخاصّ على دور اقتصادي واجتماعي، ولكن بعيداً من الدور السياسي.

ينظّر هابرماس لنشوء الفضاء العامّ «السياسي» من خلال توسّع المجال الخاصّ عبر الأنشطة والفعاليّات الأدبيّة. أدّى هذا التوسّع إلى نشوء حيّز عامّ يجتمع فيه الأفراد لمناقشة أمور المجتمع من قضايا سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وأخلاقيّة. بمعنى آخر، يتيح الفضاء العامّ للمواطنين ممارسة الشأن العامّ والنشاطات المُرتبطة به مثل المظاهرات وارتياد الأمكنة المُتعدِّدة (المقاهي، والنوادي، والمطاعم، والمكتبات، إلخ...)، فيصبح جميع المواطنين معنيين بهذا الفضاء العامّ، الذي ينتج الرأي العامّ ويصيغه.وفق هابرماس، يُعدُّ الفضاء العامّ ساحة خطابيّة dialogical ، حيث تُناقش القضايا وتكوَّن الآراء. إذن، من شأن هذا الفضاء التأسيس للديموقراطية من خلال فعاليّته كمجال خارج السلطة، ويصبح بحدّ ذاته الحيّز الذي يعطي الشرعيّة للدولة ويصيغ السياسات والقوانين. يمكن القول إنّ الحكم الديموقراطي بالنسبة إلى هابرماس ينطلق من مدى توفّر فرصة لمشاركة المواطنين في صياغة هذا الفضاء وتكوينه، وكذلك من خلال توفّر بنية تسمح ببناء قدراتهم على المشاركة.

بدورها تميّز Arendt بين الفضاءين العامّ والخاصّ، وتعتبر أنّ الفضاء العامّ يتفرّع إلى بعدين مُترابطين وضروريين لمفهوم المواطنة، وتوافق هابرماس أوّلاً بأنّ الفضاء العامّ يوفّر مساحة لتداول الكلام والإقناع في فضاء من المساواة والحرّيّة، وثانياً بأنّه يمثّل الإطار البنيوي المُشترك للأنشطة. هذان البعدان يسمحان باستعادة المواطنةreactivation في مساحات مُتعدّدة ومختلفة. إذاً، بالنسبة إلى هابرماس وآرندت يشتمل الفضاء العامّ على بُعد مكاني يظهر من خلال الأماكن العامّة الاجتماعيّة المُتعدّدة التي توفّر إطاراً للنقاش والخطاب لـ «العامّة» أو المواطنين.

بالنسبة إلى الشباب، يشكّل الفضاء العامّ مكاناً لـ «تنمية العضوية في الأماكن العامّة، وكذلك المشاركة في الحياة العامّة والمناقشة، والتنازع عليها، وتشكيلها[٣]». توفّر هذه الفضاءات طرقاً يمكن للشباب الانخراط بها للتأثير ولعب دور في صياغة ردود على الأيديولوجيّات السائدة.

تعتمد عمليّة تشكيل ثقافة الشباب على مصادر متنوّعة تساهم في بناء هويّته، التي تتشكّل غالباً خارج الكنيسة والأسرة والمدرسة والتنظيم السياسي. تحتلّ الموسيقى مثلاً دوراً مركزياً «كمصدر قابل لتفسير التنظيم الأخلاقي والسياسي والاجتماعي داخل الثقافة الفرعيّة». كذلك تبيّن لمورغان[٤] من خلال دراسة مشاركة الشباب المُهمّشين في

2 Habermas, Jurgen (1996), Between facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy, Studies in Contemporary German Social Thought. Cambridge, MIT Press, P 360.

3 Flores, C. A. (2018). Young at Heart: Advocating a Rhetorical Theory for Youth in the Public Sphere [Ph.D., Arizona State University]. Accessed June 13, 2021. http://www.proquest.com/docview/2042911420/abstract/6629CDD3692C4E26PQ/1

4 Morgan, H., Parker, A., & Marturano, N. (2020). Community-based intervention and marginalised youth: Inclusion, social mobility and life-course transition. Journal of Education and Work, 33(5–6), 327–342.

برامج الرياضة وفنون الأداء أنّها سمحت لهم الوصول إلى شبكات دعم أوسع من خلال تبنّي مفهوم social capital. في الواقع، بيّنت الدراسة أنّ الشباب المهمّشين يكوّنون علاقات إيجابيّة مبنية على الثقة والاعتراف والقبول عندما تتاح لهم الفرصة، وهو ما قد يكون شكلاً من أشكال التمكين لتعزيز قابليّة التوظيف واحتضان الحراك الاجتماعي من خلال تراكم رأس المال الاجتماعي.

عموماً، يبقى الكلام عن الشباب عامّاً، ولكن بعد ما سُمّي «الربيع العربي»، استقطب الشباب في العالم العربي الاهتمام بوصفهم فئة اجتماعيّة لها دور فاعل. هناك من نظر إلى ثقافة الشارع بتميّزها بمنطق التحطيم والفوضويّة، حيث يتسم شباب الشارع بالعدوانية وعدم الانتماء إلى المجتمع، وتطلق عليهم تسمية المشرّدين والمهملين أو المنبوذين (Saati، د.ت.)، ومنهم من نظر إلى الشباب بصفتهم صنفاً يعيش حالاً من عدم الانتماء والهشاشة والبطالة، ما يدفعهم إلى الانتساب إلى جماعات الانتماء المحلّيّة في القرى والمدن، مثل الجزائر حيث تنتشر ظاهرة الشباب «الحيطيين» Les haitistes، الذين ينتمون إلى الطبقات الفقيرة والمتوسّطة، ويتبنّون ثقافة الارتكاز على «الحائط»، وهو مصطلح برز في مطلع تسعينيات القرن العشرين، وكان بمثابة مشهد رمزي يعبّر عن شريحة من شباب تلك الحقبة، الذين تحوّلوا إلى صورة نمطيّة راسخة، يحيث «يمضي شبان ساعات طويلة يسندون ظهورهم إلى الحائط ويحدّقون في انتظار اللاشيء»[5] .

تندرج تجربة الشباب اللبناني في البيئات المُهمَّشة، وهو ما يهمّ هذه الدراسة، ضمن سياق مختلف عن حالة الشباب عالمياً أو عربياً بشكل عامّ، خصوصاً أنّ الفضاء العامّ في لبنان ضعيف وهشّ بالمعنى «الهابرماسي»، حيث السلطات المدنيّة العامّة هي القيّمة على المساحات العامّة. وعلى الرغم من ارتباطه قانونياً بالدولة ومؤسّساتها، إلّا أنّه يتفرّع الى فضاءات خاصّة مُسيطر عليها من جماعات عصبيّة سياسيّة طائفيّة حزبيّة معيّنة، وبالتالي يتناثر الفضاء العامّ المدني، الذي يُفترض أنّ يشكّل القاسم المُشترك بين اللبنانيين، وتضعف ثقافته المُشتركة لتبرز الثقافات الفرعيّة الجماعاتيّة. في بيئة مماثلة، يتربّى الشباب اللبنانيون ويخضعون للتنشئة الاجتماعيّة، من جهة، فيمثّلون طاقة تغييريّة سياسيّة واجتماعيّة في البيئات المُهمّشة، ومن جهة أخرى، يعيشون ضمن واقع محاصر ببيئات ومجالات وثقافات أهليّة جماعاتيّة طاغية على المجال العامّ.

إن ارتباط الفضاء العامّ بالدولة وسلطاتها ومدى الحرّيّة المُتاح ممارستها فيه، يجعل الفضاء العامّ اللبناني ضعيفاً على الرغم من انتشار مؤسسات القطاع العامّ في جميع المحافظات. ذلك أنّ تأسيس الكيان اللبناني كبلد «أقليات طائفيّة» في ضوء ثقافة فرعيّة عصبيّة يؤدّي إلى ضعف المساحات العامّة التي تتيح للمواطنين عموماً، وللشباب في البيئات المُهمَّشة خصوصاً، التفاعل الحرّ من خلال أنشطة أو ممارسات ثقافيّة خارج الحيّز المكاني الفرعي الخاصّ، ما من شأنه أنّ يضعف إنتاج آراء تخصّ الشأن العامّ وتطوّر النقاش عنه بين الشباب.

في ضوء ذلك، يمكن القول إنّ الفضاء العامّ في لبنان محاصر من الفضاء الخاصّ لثلاثة أسباب: يتمثّل السبب الأوّل في ضعف، إن لم نقل غياب سلطة الدولة، والذي تضاعف إلى حدّ الانحلال مع تفاقم الأزمات الاقتصاديّة المُتراكمة خلال السنوات الماضية. أمّا السبب الثاني فيتجلّى بقوّة سيطرة الجماعات الخاصّة العصبيّة على الفضاء العام، ويتمثّل السبب الثالث بضيق الخيارات المُتاحة في المناطق المُهمَّشة التي يزداد فيها تأثير غياب الدولة خصوصاً لجهة عدم وجود مساحات عامّة للشباب.

5 https://arabi21.com/story/1255682/فشل-النظام-العربي-الربيعي-الحيطيون-في-الجزائر-نموذجا

إزاء هذه الإشكاليّة والعوامل التي تحاصر الفضاء العامّ في لبنان، تُطرَح جملة من الأسئلة عن كيف يقضي الشباب اللبنانيين في البيئات المُهمَّشة أوقات فراغهم خارج المنزل والمدرسة والعمل؟ وما هي الفضاءات العامّة التي يتواجد فيها؟ وما هي الأنشطة التي يمارسها؟ وبصحبة من؟ وكيف يحلّ مشاكله؟ وإلى من يلجأ في ذلك؟ وما هو موقفه من قضايا المجتمع[٦]؟

أوّلاً - الشباب وثقافة اللهو: بين الفضاءات الحرّة والمُنضبطة

ما هو متعارف عليه أن الشباب لديهم ثقافة فرعيّة مغايرة عن ثقافة الراشدين، وأحد أبعاد هذه الثقافة تحدِّدها الأنشطة التي يمارسونها في أوقات فراغهم، وتتمحور في مجملها حول رغبتهم في القيام بأنشطة بعيداً من مراقبة الأهل أو أي سلطة متمثّلة بالبالغين، إذ كلّما كان الشباب مستقلين في اختيارهم للأنشطة والأصدقاء، كانت فرص تحقيق هوّيتهم وثقافتهم الشبابيّة أكبر وأوسع.

تتمثّل الملاحظة العامّة الأولى في الدراسة في أنّ الشباب اللبنانيين في هذه البيئات المُهمَّشة لا يتحرّكون في الفضاء الخاصّ، بل خرجوا منه إلى الفضاء العامّ. تعتبر ٣٨ من ٤٨ مجموعة تركيز أنّ الأماكن العامّة هي المُفضّلة لقضاء أوقات الفراغ، بينما قالت الأكثريّة في ٦ مجموعات فقط إنّها تبقى في الفضاء الخاصّ، وإذا أضفنا المجموعات الأربع المنقسمة بين الموقفين الخاصّ والعامّ، يصبح عدد مجموعات التركيز التي تقضي أوقات فراغها في الفضاء العام نحو ٤٠ من ٤٨ مجموعة تركيز.

تمثّل لحظة خروج الشباب اللبنانيين من الفضاء الخاصّ إلى الفضاء العامّ مسألة هامّة من أجل خوض تجربتهم الشبابيّة، نظراً إلى ما يتّسم به من إمكانات لتحقيق استقلاليّتهم مع أقرانهم بعيداً من سلطة البالغين. لكن يبقى السؤال إلى أي مدى تتيح الفضاءات العامّة للشباب اللبنانيين في المناطق المُهمَّشة أن يعيشوا ثقافتهم ويبلوروا هوّيتهم واستقلاليّتهم عن البالغين؟ هل هذه الفضاءات العامّة مُتجانسة لجهة تحقيق استقلاليّة الشباب؟ ما نوع تلك الفضاءات؟

ما هي الأنشطة المُتاحة فيها؟ والسؤال الأهمّ هو بصحبة أو بحضور من؟

١. فضاءات جديدة تحتضن ثقافة اللهو وتكتسح الفضاءات المدنيّة

من المعروف تبعاً للأدبيّات العالميّة أنّ هناك أنشطة متنوّعة تستهوي الشباب في الفضاءات العامّة، تراوح بين أنشطة اللهو والشغب والمسؤوليّة إلخ... تحتكم خيارات الشباب ورغباتهم لممارسة إحدى هذه الأنشطة أو أكثر، لسياقات زمانيّة ومعيشيّة وطبقيّة مختلفة، ولعوامل اقتصاديّة واجتماعيّة وسياسيّة وثقافيّة مُحدّدة.

يتبيّن أنّ الشباب اللبنانيين في البيئات المُهمَّشة، بحسب أحاديثهم في مجموعات التركيز، يميلون بغالبيتهم إلى تفضيل ممارسة أنشطة اللهو على سائر الأنشطة الأخرى: ٤٢ من ٤٨ مجموعة تركيز. عندما نتحدّث عن أنشطة اللهو نعني بها الأنشطة التي يمارسها الشباب بهدف التسلية والترفيه، ولا تتضمّن انخراطاً مجتمعياً، بمعنى المشاركة والمسؤوليّة والتمكين، أو الشغب أو الاحتجاج أو النشاط السياسي والديني إلخ... إلّا أنّ ثقافة اللهو لدى الشباب لم تكن واحدة أو مُتجانسة بالارتباط مع متغيّرات مثل نوع النشاط والمكان والجنس.

أ. المقاهي الرقميّة: ثقافة شبابيّة جديدة للهو في الفضاءات الحرّة

كانت المقاهي المكان المفضّل لتمضية أوقات فراغ الشباب وفق ما تعبير مجموعات التركيز الـ ٤٢. هناك ٨ مجموعات يذهب شبابها إلى المقاهي التقليديّة للقاء الأصدقاء: «نجتمع في القهوة مع الأصدقاء»، أو لتناول النرجيلة على حدّ قول

---

6 أنظر حول منهجية الدراسة مقدمة هذا الكتاب. وأنظر مقدمة الفصل المقارن الأخير، حول قاعدتي الاحتساب (على اساس الاكثريات وعلى أساس الاجوبة المتعددة).

فتاة: «أذهب مع صاحباتي لتناول الأرجيلة في المقهى»، أو للعب الورق وتناول النرجيلة وفق قول شاب: «القهوى وأرغيلة وورق». إلّا أنّ ٢٤ من مجموعات التركيز كشفوا لنا في أحاديثهم عن فضاء جديد يستهوي ثقافتهم ورغباتهم وميولهم وخياراتهم للهو وهو فضاء الإنترنت، الذي اكتسح الفضاءات العامّة كمكان مفضّل للشباب وفق أحاديثهم وارتبط بأربع سمات كبرى هي:

- **مقاهي الجيل الرقمي:** شكّلت المقاهي الرقميّة الفضاء الأكثر جذباً وفق أحاديث الشباب (٤٢ مجموعة تركيز). وفيما أشار بعض الشباب إلى ارتباط تلك المقاهي بتوفّر الكومبيوتر، وفق قول شاب: «الكمبيوتر هو مكاني المفضّل»، لكن اللافت أنّ غالبيّة الشباب تحدّثت عن الألعاب الإلكترونيّة التي يمارسونها على أجهزة الكومبيوتر في تلك المقاهي، وتتطلّب أجهزة بمواصفات عالية وتوافر اتصال إنترنت قوي. كانت (GbuP) اللعبة الأكثر تداولاً وفق أحاديث الشباب، وتكرّرت كمفردة مستقلّة مرّات عدّة مثل «ألعب (GbuP)»، أو قول شاب: «أذهب إلى محل الكمبيوتر وألعب (GbuP) مع أصدقائي». من المعروف أنّ لعبة (GbuP) هي من الألعاب الإلكترونيّة التي انتشرت في العقد الأخير وباتت الأكثر شهرة اليوم، والأكثر جذباً لجيل الشباب، ويمكن القول إنّها تغزو ثقافة جيل جديد لما تتضمّنه من إغراءات ولذات ومجالات لهو مُتعدّدة، بالإضافة إلى إمكانيّات التفاعل مع عوالم أخرى تتجاوز المحلّي إلى تشكيل شلل إلكترونيّة خارج حدود المكان، وصداقات وأصحاب من ثقافات عالميّة مختلفة٧.

- **مقاهي ببصمة ذكوريّة:** تمثّلت السمة الثانية بأنّ المقاهي هي مكان للشباب الذكور، إذ وردت كمكان مفضّل في ١٢ مجموعة للذكور، في حين لم ترد سوى في أحاديث أربع مجموعات للإناث واقتصرت على مقاهي النرجيلة وليس الإنترنت. قد لا يتمثّل السبب في ضعف ارتياد الإناث لتلك المقاهي أو غيابهن عنها في عدم رغبتهن، بل بناءً على ما كشفته نتائج دراستنا في محور سابق عن الحياة الأسريّة للشباب، نميل إلى الاعتقاد بأنّه يعود الى آليّات الضبط الاجتماعي التي تحكم خيارات الإناث لنوع الأنشطة التي يمارسنها ولصداقاتهن والأمكنة التي يرتدنها، وهو ما سوف تؤكّده نتائج الدراسة لاحقاً عند التطرّق إلى أنشطة أخرى تلتصق بالإناث، وترتبط غالباً بأنشطة تتمّ تحت مراقبة الأهل أو في أمكنة وفضاءات معروفة ومقوننة ومضبوطة من البالغين.

- **لا حضور للأهل فيها:** تتمثّل السمة الثالثة في غياب الأهل أو البالغين عن «المقاهي»، إذ لم يتحدّث الشباب عن حضور الأهل مُطلقاً. من هنا نفهم بعداً إضافياً لانجذاب الشباب إلى تلك المقاهي إضافة إلى البعد الرقمي، يتمثل في الفرص التي يؤمّنها للتحرّر من حضور الأهل المباشر ومراقبتهم، وهي مقاهي خاصّة يدخلها الشباب مقابل بدل مالي، وليس لديها أطر أو قوانين كنوادي اللهو أو الفضاءات الثقافيّة التقليديّة، التي تتميّز بحدودها المكانيّة المعروفة، وإمكانيّة مراقبة الشباب فيها مُتاحة للبالغين بمن فيهم الأهل.

- تقع المقاهي في الحيّز الخاصّ: عند الحديث عن المقاهي، يتوقّع المرء أنّها موجودة في الفضاء العامّ كما هو شائع، إلّا أنّ الشباب في البيئات المُهمَّشة يذهبون غالباً إلى مقاهي الحيّ أو البلدة التي يقيمون فيها لا خارجها. بالتالي، ولو غاب الأهل عنها، إلّا أنّها تشكّل جزءاً من الفضاء الخاصّ الذي ينتمي إلى جماعات معيّنة طائفيّة وحزبيّة يكون لها إشراف ومراقبة على حركة الشباب في تلك المقاهي وإن كانت غير مباشرة. يبقى السؤال ماذا يتداول الشباب من أفكار وأحاديث مع أصدقائهم في تلك المقاهي التي يتداخل فيها الفضاء العامّ مع الفضاء الخاصّ؟ هذا ما سوف تبيّنه المعطيات اللاحقة.

7 https://en.wikipedia.org/wiki/PlayerUnknown%27s_Battlegrounds

ب. اللهو لدى الإناث ليس لهواً

نجد فرقاً واضحاً عند المقارنة بين أنشطة اللهو التي يمارسها الشباب في المقاهي، حيث الذكور هم الغالبيّة، وبين أنشطة اللهو التي تمارسها غالبيّة الإناث والمُتمثّلة في النزهات والرحلات وارتياد الأماكن السياحيّة. في المقاهي، كمكان لهو للذكور، ، لا يحضر الأهل مُطلقاً، أما في الأنشطة الأخرى حيث «تلهو» الإناث فإن حضور الأهل يبرز بقوّة. لا يرتبط حضور الأهل بنوع النشاط بقدر ما يرتبط بالنوع الجنسي، أي بكونهن إناث، إذ نراهم يذهبون معهن إلى البحر، وفق قول فتاة: «أقصد البحر مع أبّي والأهل لأنّ البحر قريب إلى المنزل وهو المنفذ الوحيد لدينا». لا يقتصر الأمر على الأهل فحسب، بل قد يحضر الأقارب أيضاً، إذ تقول إحداهن: «أذهب إلى البحر أنا وأهلي وأقاربي»، فيما تقول أخرى: «نحن نذهب في سياحة بحريّة مع أقاربنا»، أو إلى المطاعم: «أذهب إلى المطاعم مع عمّتي فعمرها صغير».

تمارس قلّة قليلة من مجموعات التركيز المخصّصة للإناث تلك الأنشطة من دون حضور الأهل وبصحبة الأصدقاء، وفق قول فتاة: «طلعات ترفيهيّة مثل بعلبك والجنوب والمقاهي والنهر، شباب وصبايا ورقص وأكل ورحلات»، أو فتاة أخرى: «أقصد أماكن التسلية وخصوصاً السينما»، وأخرى «أخرج مع أصدقائي إلى المركز التجاري لشراء أشياء».

في حين، ارتبطت أنشطة الرحلات والنزهات بالإناث، إلّا أن ذلك لم يلغِ وجود قلّة من مجموعات الذكور تمارس الأنشطة نفسها، لكن الفارق يبقى في غياب الأهل عن الأمكنة أو أنشطة اللهو التي يمارسها الذكور سواء كانت في المقاهي أم على البحر أو خلال النزهات والرحلات وفي المطاعم إلخ...

٢. المشاركة المجتمعيّة في الفضاءات العامّة: ضعف وضمور

ما يلفت الانتباه مجدّداً على التحوّلات الكبيرة، التي طرأت على ثقافة الشباب في الفضاء العامّ، هو ضعف إقبال الشباب على الأنشطة التي تندرج ضمن إطار الانخراط الاجتماعي، إذ اقتصرت مشاركتهم على الأنشطة الرياضيّة والثقافيّة في ١٣ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز، (من ضمنها ٣ مجموعات فقط للذكور)، في حين كانت الأنشطة الأخرى السياسيّة (مجموعة واحدة) والأنشطة الدينيّة (مجموعتان) شبه غائبة في أحاديث الشباب.

أ. الأنشطة الرياضيّة والثقافيّة لحظة تفاوض الإناث مع الأهل للخروج من المنزل

لم يقتصر التحوّل في ثقافة الشباب على ضمور مشاركتهم في الأمكنة المُخصّصة لممارسة الأنشطة الرياضيّة والثقافيّة، بل كشفت النتائج إلى توجّه يفضي إلى «تأنيث» أنشطة ثقافيّة التصقت تاريخياً بالشباب الذكور. مثلاً، ارتبطت الأنشطة الرياضيّة وممارسة ألعاب كرة القدم وكرة الطائرة في النوادي والكاراتيه والهايكنغ بأحاديث الإناث، ووفق قول فتاة: «نلعب كرة القدم أو كرة السلّة»، فيما تقول أخرى: «بلعب Basket Ball أو Volley Ball». في حين، لم يتحدّث الذكور عن هذه الأنشطة سوى في مجموعتي تركيز مقابل ٦ مجموعات للإناث.

أمّا بالنسبة إلى الأنشطة الثقافيّة، فقد بدا لافتاً خيار انخراط الإناث في أنشطة تحمل شعوراً بالمسؤوليّة مثل أنشطة التطوّع لمساعدة الآخرين، مثل قول فتاة: «أحبّ العمل التطوّعي الذي من شأنه مساعدة المحتاجين والفقراء»، كذلك التطوّع في الجمعيّات الكشفيّة والصليب الأحمر. إلى ذلك، كان لافتاً ميل الفتيات إلى التطوّع في الأنشطة الكشفيّة (٦ مجموعات تركيز، واحدة منها للذكور)، وتطرّقن إليها ١٩ مرّة، مثل قول فتاة: «أنا تطوّعت مع الصليب الأحمر كي أنال درجة مُسعف، وبها أحصل على رتبة أعلى في الكشّاف»، وتقول أخرى: «أذهب إلى مركز كشّاف اتحاد الشباب الديموقراطي».

بالإضافة إلى التطوّع، تميل الفتيات إلى تعزيز قدراتهن من خلال الدورات التدريبيّة في مجالات عدّة، منها ارتبط بصالونات التجميل والكوافير مثل قول فتاة: «تابعت دورة تزيين وتصفيف في معهد»، وقول أخرى: «أنا دخلت في دورات صيفيّة لتعلّم (makeup)»، ومنها ارتبط بمهنة التمريض وفق قول إحدى الفتيات: «تلقيت تدريباً (ستاج) في المستشفى». بينما ارتبطت بعض التدريبات بالأنشطة الفنيّة: «أشارك في تدريبات كورال الفيحاء»، أمّا المطالعة فقد ورد ذكرها في مجموعة واحدة، وفق قول فتاة: «أقصد المكتبة للمطالعة».

إذاً، يبدو أنّ خيارات الإناث بالنسبة إلى الأنشطة لا تخضع للمعايير الثقافيّة نفسها التي تخضع لها خيارات الذكور، إذ نلاحظ أنّ أنشطتهن انحصرت في فضاءات عامّة يحضر فيها الخاصّ بشكل مباشر أو غير مباشر. كان حضور الأهل قوياً في أنشطة اللهو لدى الإناث ما أفقد هذا اللهو الشبابي معناه. وكانت محصورة في الأنشطة الثقافيّة والرياضيّة، واتجهت إلى تمكين الذات والمسؤوليّة المجتمعيّة، وكأنّ لا خيار لدى الإناث لممارسة أنشطة من دون حضور الأهل، إلّا إذا كانت مقبولة من الأهل ومُبرّرة اجتماعياً تحت عناوين التدريب والتمكين وتعزيز القدرات، لا سيّما أنّ هذه النوادي هي من الأماكن المضبوطة نسبياً في البيئات المُهمَّشة، أي لديها أطر واضحة تتيح للأهل متابعة حركة بناتهن ومراقبتهن عن بعد.

والعكس صحيح. لا يعني ضعف حضور الذكور في تلك الأنشطة أنّهم توقّفوا عن متابعة الأنشطة الرياضيّة مثلاً، وهي مفضّلة عند الذكور على الرغم من كلّ التحوّلات التي يمرّ بها الشباب، بل يعني توسّع خيارات الشباب في عالم اليوم، عالم الفضاء الرقمي، وتوفّر خيار جديد يتمثّل بمقاهي الإنترنت، التي أصبحت تشكّل فضاءين في مكان واحد: فضاء لقاء الأصدقاء من دون حضور الأهل، وفضاء رقمي مع كلّ ما يحتويه من مُغريات تحاكي رغبات الشباب وميولهم ومساعيهم لاكتشاف الذات والعالم من حولهم.

ب. الأنشطة السياسيّة ليست على جدول اهتمامات الشباب

غابت الأنشطة السياسيّة عن أحاديث الشباب، ولم تُذكر إلّا في مجموعة واحدة، إذ قال شاب: «أمضي وقتي في الأحزاب ومع الأصدقاء»، بينما لم تُذكر أي أنشطة تندرج في مجال العمل المدني.

كذلك، لم نجد في مجموعات التركيز الـ ٤٨ سوى ٣ مجموعات (جميعها للإناث) تطرّقت إلى أنشطة دينيّة، وتضمّن معظمها تعلّم الدروس الدينيّة، مثل قول فتاة: «أقصد الجامع للاستفادة من الدروس الدينيّة»، فيما قالت ثانية: «جارتنا تعطي دروساً دينيّة أزورها لأتعلّم الدِّين»، وقالت ثالثة: «أشارك في بعض الندوات الدينيّة»، بينما ذكرت فتاة أخرى عدم رغبتها في الذهاب إلى الجامع قائلة: «أنا لا أذهب إلى الجامع، بيزيدوها علينا كتير، ممنوع الأغاني وممنوع التلفزيون».

لا يعني ذلك ابتعاد الشباب من الثقافة الدينيّة، خصوصاً أنّ ارتباط الشباب بالثقافة الدينيّة التقليديّة والبيئة المحافظة كان واضحاً في المحاور السابقة، إضافة إلى ارتباطهم بالأهل، ولكنّه يشي بتحوّل في ثقافة الشباب لجهة طغيان توجّه اللهو على سائر ما عداه من التزامات دينيّة أو حزبيّة.

في ضوء ذلك، يتجلّى الاستنتاج الأوّلي في ضعف مشاركة الشباب وانخراطهم في الفضاءات العامّة المتنوّعة التي كانت تستقطب خياراتهم لممارسة أنشطة ثقافيّة أو رياضيّة أو سياسيّة أو دينيّة إلخ...

في بادئ الأمر، قد يتبادر إلى الذهن الاعتقاد بأنّ ضعف مشاركة الشباب في تلك الفضاءات العامّة هو مؤشّر على انكفائهم عن المشاركة بشكل عامّ، لكن ما تبيّن من النتائج يشير إلى بروز تحوّلات في ثقافة الشباب دفعتهم إلى الانخراط في فضاءات أخرى على حساب الفضاءات التقليديّة. مثلاً، الذهاب إلى المقاهي، كما أظهرت نتائج الدراسة والذي اكتسح الفضاءات الأخرى كافة، ليس معطى بسيطاً بل له دلالات على تغيّر عميق في اتجاهات الشباب،

فيما يعبّر ميل الشباب إلى الفضاءات الرقميّة على حساب الفضاءات التقليديّة عن انخراط الشباب المُهمَّش في نوع آخر من الاهتمامات. تعمل الفضاءات الرقميّة على تشكيل وعي ثقافي جديد لدى الشباب، وتتيح لهم مجالاً لممارسة نشاطات ثقافيّة من نوع جديد مختلفة عن الممارسات الثقافيّة التقليديّة، والتفاعل مع ثقافات أخرى من خلال غرف الدردشة والألعاب الإلكترونيّة التي تتمّ عبر شلل رقميّة قد لا تكون معروفة الهويّة. يحصل كلّ ذلك في غياب الأهل عن المقاهي، ما يوفّر مساحات حرّة للشباب تحاكي رغباتهم وميولهم وأهواءهم، وتتيح لهم اكتشاف أنفسهم، والبحث عن استقلاليّتهم بعيداً من المراقبة.

إضافة إلى ذلك، يوفّر الفضاء الرقمي فرصة للشباب للتفاعل والانخراط خارج حدود الأمكنة التي تتسم بها الفضاءات التقليديّة، مثل النوادي الرياضيّة والثقافيّة والأحزاب والجمعيّات والمؤسّسات المجتمعيّة الأخرى التي تخضع لمراقبة غير مباشرة نظراً إلى الأطر والقوانين التي تنظّم عملها.

من ناحية أخرى، توفّر المقاهي فضاءً مباشراً لتبادل الأفكار والنقاشات ووجهات النظر بين الشباب والأصدقاء، وإن لم يذكر الشباب هذا الموضوع، لكن الفقرات المقبلة سوف تكشف لنا عن مدى انخراط الشباب في هذه النقاشات، ونوعها، وتوزّعها بين انخراط مدني أو أهلي جماعاتي، وإن كان الاستنتاج الأساسي الذي يمكن تسجيله في سياق حديثهم عن الأنشطة وأوقات الفراغ يشي بأنّ الشباب بغالبيّتهم يميلون إلى ممارسة أنشطة اللهو وخصوصاً الأنشطة الإلكترونيّة. ربّما تساهم هذه الثقافة الجديدة في تشكيل وعي جديد لدى الشباب يدفعهم إلى الهروب إلى الأماكن التي توفّر لهم الحرّيّة والانفلات من الانضباط بمختلف أشكاله، وهذا ما يفتح لهم المجال في اتجاهين: إمّا اللامبالاة بالمشاركة المجتمعيّة بكافة مستوياتها والتفرّغ للهو فقط، أو الانخراط في مشاركة من نوع آخر موجّهة بأيدي رقميّة تتجاوز الحدود التقليديّة للمشاركة المجتمعيّة في الفضاءات العامّة الواقعيّة.

٣. المكان الخاصّ: للإناث فقط!

على الرغم من أنّ السؤال الذي طرح على مجموعات التركيز الـ ٤٨ كان موجّهاً للحديث عن قضاء أوقات فراغ الشباب خارج المنزل، إلّا أنّ فئة قليلة من الإناث اعتبرت أنّ المنزل هو المكان الذي يقضين فيه أوقات فراغهن (٦ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز). بعض الفتيات يبقين في المنزل مع الصديقات وفق قول فتاة: «أنا برأيي إذا صديقاتي معي لا يهمّني المكان حتّى لو جلسنا في البيت نتسلّى، منعمل جوّ ونضحك»، أو مع الهواتف الذكيّة إذ قالت فتاة: «أمضي وقتي في البيت على التلفون»، أو الكومبيوتر وفق قول فتاة أخرى: «أنا أبقى في غرفتي على اللابتوب»، أو لشرب النرجيلة وفق قول إحداهن: « نبقى أمام باب المنزل ونشرب الأركيلة».

على الرغم من قلّة مجموعات الإناث اللواتي يبقين في المنزل، إلّا أنهنّ يؤكّدن مجدّداً على أنّ فئة من الإناث في البيئات المُهمَّشة لا يعشن تجاربهن الشبابيّة كونها تبقى في المكان الخاصّ تحت مراقبة الأهل. في المقابل، أشار العديد منهن إلى أنّهن يقضين أوقات فراغهن مع هواتفهن الذكيّة، ما يتيح لهن مساحة حرّة يتجاوزن من خلالها قيود المنزل التي يفرضها الأهل عليهن، والخروج إلى فضاء الشباب الرقمي الواسع، والتفاعل معه بمستويات وأشكال مُتعدّدة. لكن تبقى هذه المساحة محكومة بحضور الأهل ومراقبتهم المستمرّة، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال التواجد معاً في المكان نفسه.

٤. حضور الأصدقاء في حياة الشباب

يُعدُّ حضور الأصدقاء قوياً في أنشطة الشباب وفق تعبير ٢٥ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز، تتوزّع بين ١٢ مجموعة للذكور و١٣ للإناث. تشير هذه النتيجة، إلى ما يوحي بأن الإناث يتواجدن مع صديقاتهن أكثر من الذكور، إلّا أنّ الفروقات بين الذكور والإناث تكمن في الأمكنة التي يرتادها كلٌّ منهما من جهة، وفي مساحة الحرّيّة التي يتمتع بها كلٌّ من الطرفين مع أصدقائهم. حضر الأهل الأنشطة في ١٦ مجموعة للإناث، واقتصر حضورهم في أنشطة الذكور على ثلاث. الفرق واضح في سلوك كلٌّ من الذكور والإناث وممارساتهم، خصوصاً أنّ وجود الذكور مع أصدقائهم يتيح لهم أنّ يعيشوا ثقافتهم الشبابيّة أكثر من الإناث، نظراً إلى قدرتهم على اختيار أماكن مثل مقاهي لا يحضر فيها الأهل. في المقابل، تضيق خيارات الإناث مع أصدقائهن كونهن يتواجدن في أماكن مُنضبطة إمّا بحضور الأهل مثل المنزل، تقول فتاة: « أمضي وقتي في البيت على التلفون وزيارة الأصدقاء وفي الضيعة مع الأقارب"، أو حضورهم في النزهات، وتقول فتاة:» أذهب مع أهلي والأصدقاء إلى البحر»، أو وجودهن في نوادي مُنضبطة تحت إشراف البالغين، وهو ما يحرمهن من خوض التجربة الشبابيّة مع صديقاتهن، والتي تشترط غياب مراقبة الأهل أو أي سلطة أخرى.

في المقاهي، وخصوصاً مقاهي الإنترنت، قد يلتقي الشباب الذكور مع أصدقائهم الافتراضيين، فضلاً عن أنّ الألعاب الإلكترونيّة غالباً ما تحتاج إلى شلل من الأصدقاء، ما يعني أنّ حضور الأصدقاء الواقعيين والافتراضيين قويّ في فضاء الذكور ومن دون مراقبة من الأهل.

٥. التجارب الشبابيّة في مواجهة المعوِّقات الثقافيّة والاقتصاديّة

تحدّثت فئة من الشباب (١١ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز) عن المعوِّقات التي تحول دون ممارسة الشباب لأنشطتهم في الفضاء العامّ. اصطدمت الإناث (٧ مجموعات) بمعوِّقات اجتماعيّة - ثقافيّة مرتبطة ببيئتهن المحافظة، وتقول إحدى الشابّات: «كلام الناس وأخلاقهم تمنع الفتاة من الخروج»، أو وفق فتاة أخرى: «أدخّن النرجيلة على شرفة المنزل مع صحن المكسّرات، فأهلي لا يسمحون لي بالذهاب إلى المقهى"، أو وفق قول أخرى: « لا يوجد مثل المنزل، أخجل من الخروج وأتسلّى بالإنترنت» .

أمّا المعوِّقات الاقتصاديّة فقد اصطدم بها الذكور والإناث على حدّ سواء (٤ مجموعات فقط)، تقول فتاة: «كنت منذ سنتين في نادي رياضي وتوقّفت عنه لأنني لم أعد أعمل، وخفّفت الزيارات الاجتماعيّة للسبب نفسه»، ويقول شاب: «من الصعب القيام بأي نشاط في ظلّ الوضع الاقتصادي».

بقراءة تعليقات الشباب الخاصّة بالمعوِّقات في ممارسة الأنشطة، يبدو أنَّ «العائق الثقافي» يشكّل أهم المعوِّقات التي تحول دون ممارسة أنشطة الإناث في الفضاء العامّ، وهو يرتبط أساساً بالبيئة الثقافيّة المحافظة، وعامل تعلنه الفتيات لتفسير قلّة خروجهن من البيت لممارسة أنشطتهن. كذلك، يظهر دور عامل الضبط الاجتماعي بشكل قويّ في هذه البيئات الاجتماعيّة، وتبيّنه تمثّلات المجتمع لسلوكيّات الفتيات عند خروجهن من البيت، ومراقبة الأهل الدائمة، وتوجيهاتهم الحاضرة في كل آنٍ وأوان.

ثانياً - الشباب في مواجهة مشاكلهم: الاستنجاد بالفضاء الخاصّ

تعرّفنا إلى أنشطة الشباب وطرق قضاء أوقات فراغهم والأماكن التي يفضّلون التوجّه إليها خارج المنزل والمدرسة والعمل، وانصبّ اهتمامنا في هذا المجال على معرفة ثقافة الشباب واتجاهاتهم ومدى قدرتهم على بناء استقلاليّتهم بعيداً من سلطة البالغين، إلّا أنّ الأنشطة وحدها لا تكفي للكشف عن مدى استقلاليّة الشباب. على سبيل المثال، إنّ ممارسة أنشطة اللهو في الفضاء العامّ، لا تعني أنّ الشباب مستقلّون في خياراتهم عن الفضاء الخاصّ، خصوصاً أنّ أحاديثهم عن الفضاء العامّ لا ينقطع عنه الخاصّ، ما يجعل العام ليس عاماً صافياً، بل محاصراً بالخاصّ والجماعات والأهل مع وجود فروقات بين الذكور والإناث. لذلك، كان ضرورياً استكمال خريطة تمثّلات الشباب من خلال معرفة طرق تفاعلهم مع مشاكلهم في لحظة المشكلة أو التهديد، والذي يتطلّب مستوى أعلى من الجدّيّة والقرار، وبالتالي يكشف لنا أكثر أين هم الشباب اليوم؟ هل هم بين الفضاء الخاصّ أو الفضاء العامّ؟ أو الاعتماد على النفس مع شلل الأصدقاء والأقران؟

لا تعتمد غالبيّة الشباب هنا على نفسها في حلّ مشاكلها، بل يلجأ الجميع إلى المساعدة في حلّ مشاكلهم، لكن عموماً لا يطلبون المساعدة من الأصدقاء، ولا من مؤسّسات الدولة والمؤسّسات العامّة والمدنيّة، بل تلجأ غالبيّتهم إلى الفضاء الخاصّ أو الأهلي.
قالت الأكثريّة في ٣٤ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز إنّها تلجأ إلى طلب المساعدة من الأهل والأقارب والجيران والمؤسّسات الأهليّة والطائفيّة عند التعرّض لمشكلة، في مقابل ٣ مجموعات تركيز تلجأ إلى الأصدقاء، بينما انقسمت الأكثريّة في ٩ مجموعات بين الجهتين، في حين تلجأ مجموعة واحدة إلى السلطات العامّة والمنظّمات الدوليّة، وتلجأ أخرى إلى الأحزاب وجهات سياسيّة.

١. العودة إلى الفضاء الخاصّ مصدر ثقة وحماية وأمان

في لحظة المشكلة والحاجة، يعود الشباب إلى الاستنجاد بالفضاء الخاصّ سواء تجلّى بالأهل أو الأقارب أو المؤسّسات والمنظّمات الأهليّة والأحزاب الطائفيّة. تتوزّع ٤٣ مجموعة بين ٢٤ للإناث و١٩ للذكور، وقد أشارت إلى المؤسّسات الخاصّة بوصفها جهة للمساعدة في لحظة تعرّضهم لأي مشكلة. وشملت المؤسّسات التالية وفق ترتيبها من الأكثر إلى الأقل حضوراً:

أ. **الأسرة:** شكّلت الأسرة الجهة الرئيسيّة التي يلجأ إليها الشباب عند تعرّضهم لمشكلة. تكرّر استخدام كلمة «الأهل» كمفردة مستقلّة للدلالة على حضورهم في لحظة المساعدة، أو اعتبار اللجوء إلى الأهل مسألة اعتياديّة لديهم مثل قول فتاة: « طبعاً ألجأ إلى أهلي». ربط الشباب اللجوء إلى الأهل بحسب نوع المشكلة مثل قول فتاة: «إذا كبرت المشكلة أخبر أهلي»، أو قول أخرى: «بحسب المشكلة أطلب المساعدة، ولكن حتّى الآن لم ألجأ إلى أحد غير أهلي».

أمّا الأم فكان لها الدور الأساسي في احتضان مشاكل الشباب سواء في الحلّ المباشر أو كوسيط للتفاوض مع الأب. هي تمثّل وجهة الحوار مع الشباب مثل قول فتاة :»أتحاور مع أمي أكثر لأن والدي مشغول دائماً. عسكري»، وهي أيضاً الأكثر حرصاً على مصلحتهم وفق الثقافة الأسريّة مثل قول فتاة: «ألجأ إلى أمّي لأنها تعرف مصلحتي أكثر من أصدقائي».

أمّا الشباب الذكور فقد كانوا الأكثر ميلاً للاستنجاد بالأخوة والأخوات مثل قول أحدهم: «أختي الكبيرة هي من تساعدني في ذلك»، أو قول شاب آخر «ألجأ إلى أخي الأكبر مني سنّاً».

أمّا اللجوء إلى الأب والاستعانة به فقد حلّ في المرتبة الأخيرة في تصريحات الشباب، وإنّ دلّ ذلك على أمر فهو على أنّ صورة الأب - الرجل لا تزال تمثّل الرمز - السلطة

في الأسرة، وهي مصدر تأزّم في العلاقات بين أعضائها، إذ لا تزال الصورة النمطيّة تعكس وجود مسافة رمزيّة بين أفراد الأسرة خصوصاً مع الشخص - الرأس، أي الأب، الذي يصعب اللجوء إليه أو التحاور معه خوفاً من ردود فعله القويّة. يبرز الأب في كلام الشباب كسلطة يخافونها أو يهابونها، وتكرّرت عبارات المقارنة خصوصاً لدى الإناث مثل: «لكن بيّي ما بسترجي، ما بسترجي إحكي معو بهيك قصص»، أو هو مصدر للعنف والصرامة مثل قول فتاة: «إنّ عقل الأب صارم جدّاً. الأم قد تتفهّم ولكن الأب يصيح وربّما يقوم بالضرب».

إلّا أنّ البعض أعطى صورة مختلفة حيث تكون المسافة قريبة مع الوالد، مثل قول إحداهن: «أنا ألجأ إلى أبي لأنّه صديقي ويحلّ مشاكلي بتروّي». بينما يرى البعض الآخر أنّ الأب هو المرجعيّة في المشاكل الكبيرة فقط: «إذا مشكلة محرزة ألجأ إلى أبي».

ب. **الأقارب:** تحدّث الشباب عن الأقارب بعد الأهل، وعن دورهم في المساعدة بالنظر إلى أنّهم مصدر تفهّم وثقة. ركّز الشباب على المسألة الجيليّة وتقارب الأعمار في لجوئهم إلى الأقارب وتفهّمهم لمشاكل الشباب، وتقول إحداهن: «خالي من جيلي ويتفهّمني، ألجأ إليه لأنّ أهلي عقولهم من العصر الحجري، لا يفهمونني مثله»، أو قول أخرى: «خالتي قريبة مني بالعمر، إذا طرأ أي أمر بالمدرسة تقوم هي بالتواصل مع الإدارة، تساعدني ولا أشعر بالخوف». أو بسبب عامل الثقة خصوصاً لدى الفتيات مثل قول إحداهن: «بنات عمّي الكبار، لأنّ هناك أموراً سرّيّة لا أستطيع أن أحكيها لأهلي، أستطيع الخروج معهن لأنهن يقلن لي أن آتي، وعمّي يستأذن من أبي نيابة عنّي».

ج. **المؤسّسات الأهليّة:** قال الشباب في ١٤ من ٤٣ مجموعة تركيز أنّهم يلجؤون إلى المؤسّسات الأهليّة عند تعرّضهم لمشكلة، واللافت أنّ هذه المجموعات كانت للذكور في غالبيتها. بالنسبة إلى الشباب، تُعدُّ المؤسّسات الأهليّة بغالبيّتها مرادفة للأحزاب السياسيّة الطائفيّة، منهم من سمّاها بالاسم مثل قول أحدهم: «ألجأ إلى حركة أمل»، أو قول آخر: «حسب المنطقة اللي عايشين فيها، إذا مكان سكني يتدخّل حزب الله لحلّ المشاكل». ومنهم من عبّر عن ثقته بنفوذ وقوّة الأحزاب في حلّ المشاكل عموماً باعتبارهم المرجعيّة الأولى للمساعدة مثل قول شاب: «الأحزاب هي أول من ألجأ إليها في مشاكلي لتأكّدي من حلّها»، ومنهم من اعتبر أنّ اللجوء إلى الأحزاب يشترط أنّ لا يكونوا طرفاً في المشكلة مثل قول شاب: «الأحزاب في المنطقة تساعد إذا لم تكن طرفاً في النزاع». ومنهم من كشف عن انتمائه الحزبي في تبرير اللجوء إلى المساعدة وتكرّرت عبارة «ألجأ إلى الحزب المنتمي إليه»، أو قول شاب «أطلب المساعدة من التيّار المنتمي إليه». بينما أشار البعض إلى الصفة الشّخصيّة لممثّل الحزب وخصوصاً «الزعيم»، وهناك من سمّاهم بالاسم مؤكّداً على انتمائه الطائفي، «إذا ذهب الشيخ سعد لا يعود لنا حقوق في بيروت، إنّه الشخص الذي ألجأ إليه»، وقول شاب آخر: «ألجأ إلى زعيم المنطقة في حال كانت الحاجة ماديّة». بينما تحدّث آخرون عن الصفة الحزبيّة للأشخاص الذين يشكّلون مصدر الدعم مثل قول شاب: «ألجأ إلى مسؤول المنطقة». وأشار البعض إلى السياسيين كمرادف للأحزاب مثل قول شاب:» نلجأ إلى السياسيين، أحياناً الحزب العربي الديموقراطي».

تعزّزت أحاديث الشباب عن الأحزاب بكلام عن دورها في تأمين الحماية والأمان إلى درجة اعتبارها مرادفة للمؤسّسات الأمنيّة مثل قول شاب: «أشعر بالحماية من أحد الأحزاب والمؤسّسات الأمنيّة»، أو قول شاب ثانٍ: «ألجأ إلى أمن الحزب»، أو قول شاب آخر: «وجود حزب معيّن في منطقتنا يشعرنا بالأمان». تؤكّد هذه الأقوال مدى ارتباط بعض الشباب، لا بل انتمائهم إلى الفضاء الخاصّ كمصدر للحماية والأمن والأمان.

أشارت قلّة قليلة من المجموعات إلى دور رجال الدِّين مثل قول شاب: «أطلب المساعدة من رجل دين في حال كنت بحاجته»، أو قول آخر: «لجأنا إلى رجل دين لكي يساعد أختي في فكّ السحر عنها»، أو قول آخر: «ساعدنا رجل دين لحلّ مشاكل طلاق أمّي وكذلك طلاق أختي».

تبيّن النتائج أعلاه أنّ الشباب يعودون إلى الاستنجاد بفاعلي الفضاء الخاصّ في لحظة تعرّضهم لمشكلة، ما يؤكّد على أنّ الشباب، وإن خرجوا للهو في الفضاء العامّ، لا يزالون مرتبطين بالفضاء الخاصّ (الأهلي)، وبالتالي لم يكن خروجهم إلى المقاهي (الذكور) أو النزهات والأنشطة الرياضيّة والثقافيّة (الإناث)، سوى لحظة تفاوض مع الأهل للبحث عن نوع من الاستقلاليّة في الفضاء الخاصّ نفسه وليس الفضاء العامّ. أمّا في لحظة المشكلة أو التهديد، فنرى أنّ الشباب لا يزالون أسرى الفضاءات الخاصّة الجماعاتيّة والفاعلين فيها، سواء كانت الأسرة أم الطائفة المُتمثّلة بالأحزاب السياسيّة الطائفيّة. وهذا ما يفسّر انكفاءهم عن الفضاء العامّ وخصوصاً عن الأنشطة المدنيّة، بمعنى الانخراط في المشاركة الاجتماعيّة المُرتبطة بالشأن العامّ، حيث شكّل الفضاء العامّ (لدى الغالبيّة الساحقة من المجموعات) مجالاً للترفيه عند ولوج الشباب إليه، وليس مجالاً للمسؤوليّة المدنيّة والمواطنية، اللتين تشكّلان لحظة استقلاليّة الشباب وانخراطهم الفعلي في الفضاء العامّ.

مجدّداً نرى الفروقات بين الإناث والذكور لناحية الجهات التي يلجؤون إليها طلباً للمساعدة. تتوجّه الشابات الإناث إلى الأهل والأقارب طلباً للمساعدة، بينما يلجأ الشباب الذكور أكثر إلى الأحزاب السياسيّة الطائفيّة والمؤسّسات الأهليّة. أضف إلى ذلك أنّ نوع المشاكل التي تحدّث عنها الشباب، ذكوراً وإناثاً، تشكّل عاملاً مُحدِّداً لتبرير الجهات التي يختارونها للمساعدة، حيث اتسمت مشاكل الإناث بطابعها الشخصي، بحيث تتطلّب حضور الأهل كمصدر ثقة للدعم والإرشاد والتوجيه، بينما كانت مشاكل الذكور أقرب إلى المشاكل العامّة التي تتطلّب جهات قويّة ونافذة. كذلك تبيّنت هامشيّة رجال الدِّين في حلّ المشاكل بحيث لا يستعين بهم الشباب إلّا في المسائل التي تدخل ضمن اختصاصهم (الطلاق والسحر).

٢. الأصدقاء للفضفضة والنصح وليس لحلّ المشاكل

يتوقّع المرء أنّ يكون الشباب أكثر ثقة بأصدقائهم ربطاً بما أظهرته النتائج من حضور قويّ للأصدقاء في حياة الشباب وأمكنتهم وأنشطتهم، إلّا أنّ ٥ مجموعات فقط (٤ للذكور و١ للإناث)، تلجأ إلى الأصدقاء للمساعدة في حلّ المشاكل. ارتبط لجوء الإناث إلى الأصدقاء بالفضفضة عن أمور شخصيّة مثل قول أحداهن: «أنا ألجأ إلى صديقاتي لأنّني أثق بهن»، أو قول أخرى: «هناك أمور لا أستطيع البوح بها لأهلي فأخبرها للأصدقاء، وممكن أن تكون هذه الأمور مشاكل بيني وبين أهلي ولا أستطيع مناقشتها معهم». أمّا لجوء الذكور إلى الأصدقاء فيرتبط بالمشاكل الصغيرة مثل قول شاب: «إذا مشكلة خفيفة ألجأ إلى الأصدقاء». في حين تستعين مجموعة واحدة بالأصدقاء في المواجهة الجماعية مثل قول شاب: «ألجأ إلى أصدقائي في الحارة، منلمّ بعضنا».

مجدّداً يتبيّن لنا أن وجود الأصدقاء في حياة الشباب، لا يعني الاعتماد عليهم في حلّ المشاكل، فعلاقتهم بهم مُحدّدة باللهو والتسلية، أمّا وقت الجدّ، وقت حدوث مشكلة، فيبدو أنّ الشاب يحتاج إلى حماية البالغين الموجودين في الفضاء الخاصّ من أهل وحزب وطائفة، وكأنّ الشباب مربوطين بحبل السرّة مع الفضاء الخاصّ، يشدّهم إليه كلّما تعرّضوا لموقف جدّي أو لحظة تتطلّب اتخاذ قرار. قرارات الشباب وخياراتهم مستمدّة من البالغين لأنّهم المرجعيّة، ولم يعتد الشباب على المواجهة وحدهم وتحمّل المسؤوليّة عبر تشكيل فرق من عالم الشباب نفسه كما هو معروف لدى الشباب المستقلّ.

أمّا الفتيات فعلاقاتهن بصديقاتهن ليست للمواجهة وحلّ المشاكل بقدر ما هي مرتبطة بصعوبة التواصل مع الأهل في مواضيع خاصّة مُحدّدة لا تزال تشكّل محظورات اجتماعيّة (تابوهات) لديهن مثل العلاقات العاطفيّة مع الذكور.

٣. ضعف الثقة بالمؤسّسات العامّة وغياب ثقافة الحقوق والمواطنة

نادراً ما تحضر المؤسّسات العامّة لدى الشباب عند الحديث عن مشاكلهم والجهات التي يقصدونها للحلّ، فهي شبه غائبة عن أدراكهم كسلطات عامّة لديها قوانين تؤمّن الدعم والحماية للشباب باعتبارهم مواطنين يتمتّعون بحقوق، ويفترض أنّ تكون الجهة الأولى لحلّ المشاكل. أشارت مجموعتان فقط إلى المؤسّسات العامّة كجهة للمساعدة عند التعرّض لمشكلة. بعكس الصورة الأولى للمؤسّسات الخاصّة وحضورها القويّ كملجأ للمساعدة والحماية وصمام أمان وثقة، كان هناك صورة معاكسة تؤكّد عدم ثقة الشباب بالمؤسّسات العامّة وعدم اكتراثها بالمواطنين حتّى لو طالت المشكلة أمنهم، مثل قول شاب: «الشرطة ما بتعمل شي ما بيجوا كرمال كفّ وكفّين».

تتمثّل الدولة لديهم بقوى الأمن والجيش والدرك، كأنّ المشاكل بنظرهم تنحصر في المسألة الأمنيّة، لا القضائيّة مثلاً، حيث لم يَرِد ذكر القضاء أو القانون على لسان أي منهم، بل كانت تعبيراتهم تدلّ على مشاكل من نوع الصراعات مثل قول شاب: «إذا كان هجوم عنيف ألجأ إلى الدرك أي القوى الأمنيّة»، أو قول شاب آخر: «لا أستطيع اللجوء إلى المخفر بسبب الوضع (الاقتتال في التبانة)، ألجأ إلى نقاط الجيش الموجودة في المنطقة»، بينما ذُكِرت المخابرات أكثر من مرّة باعتبارها جزءاً من الأمن مثل قول شاب: «ألجأ إلى دوريّات المخابرات أو الأمن».

أمّا المؤسّسات المدنيّة، أي مؤسّسات المجتمع المدني، فلم تخطر ببال الشباب كجهة داعمة في حلّ المشاكل، وهو ما يدلّ على ضعف حضور هذه المؤسّسات في عالم الشباب وانخراطهم فيها بالمقارنة مع الحضور القويّ للمؤسّسات الأهليّة الحزبيّة، وكأنّ الشباب لا يعرفون بوجود مثل هذه المؤسّسات في لبنان، هي ليست حاضرة في إدراكهم كونهم أبناء الفضاء الخاصّ، أبناء الطائفة والحزب وانتماءاتهم الأوّليّة العصبيّة، لا يدركون أنفسهم كمواطنين يعرفون حقوقهم ويطالبون بها سواء في مؤسّسات الدولة أو مؤسّسات المجتمع المدني. لكن من أجل الموضوعيّة يمكن التوسّع أكثر في هذا المجال لمعرفة مدى تواجد مؤسّسات المجتمع المدني في الفضاء المُهمَّش ونوع العلاقة التي يقيمونها مع الشباب، وبالتالي يصبح السؤال مشروعاً: هل عدم إدراك الشباب في البيئات المُهمَّشة يقتصر فقط على وعيهم المُرتبط بالفضاء الأهلي أو يعود أيضاً إلى قصور وتقصير لدى المؤسّسات المدنية في تعاملها مع الشباب في البيئات المُهمَّشة؟

ثالثاً - الشباب بين الانخراط الأهلي والانكفاء المدني

في السؤال الذي توجّهنا به إلى لشباب عن أفكارهم حول مشاكل المجتمع وتفاعلهم معها، تكشفت لنا الازدواجيّة في أحاديثهم على مستويات عدّة. في حين لم تتبيّن أي إشارات حول انخراطهم السياسي وعزوفهم وانكفائهم عن المجال السياسي في مقابل انخراطهم في أنشطة اللهو في أحاديثهم ضمن أنشطتهم في الفضاء العامّ، تبيّن من نتائج السؤال المُرتبط بمشاكل المجتمع وكيفيّة تعاملهم مع الحلّ أنّ غالبيّة المجموعات (٣٣ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز) ترى أنّ مشاكل المجتمع ترتبط بالشأن العامّ السياسي وسياسات الدولة اتجاه المجتمع، في مقابل ١٥ مجموعة تركيز ترى أنّ المشاكل هي اجتماعيّة وثقافيّة وترتبط بالأفراد أنفسهم. سوف تتوسّع دائرة هذه الازدواجيّة في أحاديث الشباب عند طرح الحلول التي لم تعكس مستوى إدراكهم اللفظي لهذه المشاكل العامّة بل اتجهت إلى حلول أخرى خارج إطار مشاركتهم السياسيّة الفاعلة.

١. إدراك الشباب لمشاكل المجتمع

أوّل ما يستنتج من تصريحات الشباب الواردة في الفقرات السابقة حول فضاءات أنشطتهم هو أنّهم منصرفون إلى فضاء المقاهي حيث اللهو والترفيه، وأنّ لا انخراط سياسي لهم خارج هذا الفضاء. إلّا أنّ نتائج السؤال الأخير المُرتبط بآرائهم بمشاكل المجتمع تشي بغير ذلك. طغت القضايا العامّة على أحاديث الشباب كسبب لمشاكل المجتمع، وتوزّعت إلى فئتين: قضايا الشأن العامّ وقضايا اجتماعيّة ثقافيّة.

أ. قضايا الشأن العامّ: بين السياسي والخدماتي

اعتبرت ٣٣ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز أنّ المشكلة ترتبط بالوضع العامّ للبلاد، إلّا أنّ الشباب انقسموا على نظرتهم للوضع العام بين: نظرة كلّيّة للقضايا المُرتبطة بمجمل النظام السياسي الطائفي، ونظرة جزئيّة مُرتبطة بخدمات الدولة الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

المشكلة بالنظام السياسي الطائفي

رأت ١٥ مجموعة تركيز أنّ المشكلة الأساسيّة ترتبط بالنظام السياسي. وعُبِّر عن النظام السياسي الطائفي بدلالات ومعاني مختلفة، وكانت الأحزاب السياسيّة من بين المشاكل الأكثر تكراراً، حيث يقول أحدهم: «الأحزاب السياسيّة لا تخدم إلّا المنتمين إليها أوّلاً»، أو قول آخر: «أنا أرى أنّ ٩٥٪ من الأحزاب طائفيّة، ويجب البحث عن حلّ جامع للجميع، لذلك لا يمكن للأحزاب الطائفيّة لعب هذا الدور». وفق تعبيراتهم، الأحزاب هي مصطلح مرادف للطائفيّة السياسيّة مثل قول فتاة: «الطائفيّة السياسيّة والأحزاب في لبنان هي أساس المشاكل، يجب إلغاؤها وتغيير الطاقم كلّه، بالإضافة إلى إلغاء خانة الطائفة من الهويّة والعقليّة الطائفيّة». في حين يرى البعض أنّ النظام السياسي يتمثّل بالسياسيين مثل قول شاب: «علينا تصحيح الوضع السياسي. السياسيون هم أكبر مشاكل البلد»، أو قول شاب آخر: «لن يتطوّر المجتمع إلّا بالتخلّص من جميع السياسيين»، أو السياسيون هم الزعماء الطائفيون: «يجب التحرّر من الزعماء السياسيين والطائفيين». أمّا الدولة فقد ذُكِرت مرّة واحدة باعتبارها المشكلة السياسيّة الأساسيّة مثل قول فتاة: «الدولة هي الأساس وسبب هذه المشاكل. أدّت الظروف المعيشيّة إلى تفاقم الأزمات».

تردّي الخدمات الاجتماعيّة

رأت ١٠ مجموعات تركيز أنّ المشكلة الأساسيّة تكمن في تردّي الخدمات التي تقدّمها الدولة. ركّز الشباب على مشكلة النفايات بالدرجة الأولى مثل قول فتاة إن «النفايات هي أكبر مشكلة والدولة عاجزة عن الحلّ بينما الحلّ بسيط»، فيما رأت أخرى أن: «مشاكل البنية التحتيّة والطرقات وزحمة السير هي الأهم»، وقالت فتاة أخرى إن «مشاكل الميّ هي أكبر التحدّيات»، وحصرت أخرى المشكلة بأنّه «يجب إيجاد حلول لموضوع الكهرباء».

البطالة وقلّة فرص العمل

أمّا الذين ركّزوا على القضايا الاقتصاديّة (٨ مجموعات تركيز) فقد وجّهوا أصابع الاتهام إلى قلّة فرص العمل مثل قول شاب: «دبّروا شغل للعالم ونحن بألف خير»، أو قول آخر: «مشاكل المجتمع الذي نعيش فيه هي وضع اقتصادي زفت، الشباب لا يعمل» .

يتبيّن من أحاديث الشباب عن مشاكل المجتمع أنّ الشباب اللبنانيين في البيئات المُهمَّشة يدركون الأزمة السياسيّة المرتبطة بالشأن العام، وتكشف لنا كثافة أحاديثهم وإدراكهم للقضايا العامّة مسألتين:

الأولى: أنّ غياب الشباب في الفضاء العامّ عن ممارسة أي التزام أو أنشطة سياسيّة بالمعنيين الجماعاتي أو المدني الاحتجاجي، لا يعني أنّهم غير مدركين للوضع السياسي ولو بتشوّش وعدم وضوح.

الثانية: ضعف المؤسّسات المدنيّة في مقابل الحضور العائلي الطائفي. إنّ غياب الأنشطة المدنيّة للشباب في البيئات المُهمَّشة، بمعنى الانخراط في الفضاء العامّ كمجال للتداول والمشاركة ومساحة للتأثير والضغط من أجل الشأن العامّ، بسبب توجّه الشباب إلى أنشطة اللهو أوّلاً، وفضاء المقاهي الذي يُعدُّ جزءاً من الحيّز الخاصّ الذي يخضع لمراقبة الجماعات الحاضرة فيه أو المحيطة به، كلّها أمور تشير إلى أن أحاديث الشباب حول الأوضاع العامّة ووعيهم للأزمة السياسيّة تقتصر على المستوى اللفظي، خصوصاً أنّ الكلام عن الطائفيّة والفساد والأزمات أصبح متداولاً لدى كلّ الناس، بدءاً من الطبقة السياسيّة وصولاً إلى العامّة، وبالتالي أصبح الانخراط السياسي على المستوى اللفظي حالة اعتياديّة بين الشباب في لبنان نتيجة قوّة حضور الأزمة الاقتصاديّة والاجتماعية لدى الشعب اللبناني، وكذلك قوّة الإعلام على أنواعه وسلوك الجماعات. إنّ السلوكيّات المُرافقة هي الكفيلة بترجمة هذا الإدراك السياسي ومعرفة طبيعته إذا كان مدنياً أو أهلياً، وفي ضوء المعطيات كافة يُرجّح النظر إلى انخراط الشباب باعتباره انخراطاً أهلياً جماعاتياً في مقابل انكفاء عن الانخراط المدني.

٢. قضايا اجتماعيّة وثقافيّة

ترى ١٥ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز أنّ المشاكل التي يعاني منها لبنان ترتبط بالمواطنين الأفراد أنفسهم، ويستعيد الشباب بذلك خطاب أهاليهم والبالغين عن الأخلاق وقضايا الانحراف الاجتماعي، التي تشمل قضايا مثل تعاطي المخدّرات والحشيش حيث يقول أحد الشباب: «لا يهتمّ الأهل لأبنائهم، حيث أنّ آفة المخدّرات والحشيش والعنف والأراكيل تعود إلى التربية في المنزل وتوعية الأهل»، بينما رأى البعض الآخر أنّ السبب يكمن في الجهل والأمّية مثل قول فتاة: «هناك الكثير من الأمّيين ما يؤدّي إلى السرقات وتعاطي المخدّرات وسلوك طريق الخطأ، أحياناً توضع المخدّرات داخل النرجيلة أو السيجارة من دون علم من يشربها، وقد يكونون أصدقاء، ما يؤدّي إلى خلافات»، أو قول فتاة أخرى: «فلتان كتير بلبنان والولاد بلا تربية وما عندن حدود».

أيضاً، تحدّث الشباب عن الذهنيّة الاجتماعيّة للأفراد ومشكلة الطائفيّة مثل قول فتاة:» في مجتمعنا أيضاً مشكلة الطائفيّة. يجب أن يكون هناك توعية ضدّ الطائفيّة من الأعمار الصغيرة، ويجب أن يختلطوا عبر الأهل والمدرسة ويعملوا على عدم التفرقة والتحزّب». بينما تحدّث البعض عن مشكلة الأفكار المُسبقة وعدم تقبّل الآخر مثل قول فتاة: «التخويف بالأفكار المُسبقة عن الآخرين تفرّق الجماعات الدينيّة في مجتمعنا»، وشملت هذه الذهنيّة أيضاً الذكوريّة والتمييز ضدّ الإناث مثل قول فتاة: «كيف بدنا نعالج المجتمع والأفكار الجاهليّة عم تطلع من البيت، البنت ممنوع تعمل هيك وممنوع كلّ شي، وكلّ شي بينفرض عليها من المجتمع»، وتضيف أخرى: «أكبر المشاكل هي التمييز بين الجنسين، ونوعية عمل المرأة، وفرصها الضئيلة، والتقليل من قدرتها على القيام بأعمال مختلفة، ومشكلة العادات والتقاليد التي تحدّ من تقدّم المرأة».

بالنظر إلى المشاكل المُرتبطة بالانحراف، كانت أحاديث مجموعات الإناث أكثر تطرّقاً لها من مجموعات الذكور الذين تركّزت أحاديثهم في قضايا الشأن العامّ. يعود السبب إلى تأثّر الفتيات، في مجتمع ضيّق ومحافظ ومُهمّش، بالخطاب الأخلاقي للأهل الذي يصوّر التهديد الأكبر عليهن في المجتمع يتعلّق بالانحراف والفلتان، وأن التربية الأخلاقيّة في المنزل والمدرسة هي المدخل للحلّ.

٣. ازدواجيّة الكلام بين المشكلة والحلّ

عند مراجعة مواقف الشباب من المشاكل والأزمات في لبنان، والتي توزّعت بين أزمة البلاد العامّة من جهة والمشاكل الاجتماعيّة والثقافيّة من جهة أخرى، نجد أنّ الحلول التي يقترحها هؤلاء الشباب تتوزّع بين ثلاث مستويات هي: التوعية والتطوّع وهما يمثّلان غالبيّة الآراء، والحلّ السياسي الذي يمثّل الأقليّة من آراء الشباب.

التوعية وعلينا بأنفسنا أوّلاً!

بينما يوجّه الشباب أصابع الاتهام في أحاديثهم عن المشكلة الأساسية في المجتمع إلى القضايا العامّة السياسيّة والاقتصاديّة والخدماتيّة، ترى غالبيّة المجموعات أنّ الحلّ يبدأ بتوعية الأفراد حول القضايا الأخلاقيّة والاجتماعيّة. منهم من اقترح حملات توعية مثل قول فتاة: «يجب أنّ يكون هناك حملات توعية للناس»، وتضيف أخرى أنّ حملات التوعية يجب أن تطال الأفكار: «حملات توعية لتغيير أفكار المجتمع»، وتقدّم فتاة ثالثة حلاً لقضايا الانحراف بالقول: «يجب العمل على التوعية فيما يتعلّق بموضوع تعاطي المخدّرات، والتوعية على مستوى الشباب، والعمل على توقيف المروّجين الكبار وليس الصغار». كذلك يثير البعض قضايا المواطنة ونبذ الطائفيّة وقبول الآخر، مثل قول شاب: «الانفتاح على المناطق والطوائف. يجب أن يكون هناك توعية ضدّ الطائفيّة»، وتضيف إحدى الفتيات: «ضرورة العمل الفكري مع المتعصّبين وتوعية المجتمع خصوصاً حول العنصريّة والطائفيّة»، وضرورة الانفتاح والاختلاط مثل قول فتاة: «الاختلاط مع المجتمعات الأخرى والخروج من المحيط الضيّق».

أمّا الجهات المسؤولة عن التوعية فقد توزّعت برأي الشباب بين الأفراد والجمعيّات الأهليّة والأهل والمدرسة ورجال الدّين والدولة على النحو التالي:

- **الأفراد «علينا أن نبدأ بأنفسنا»:** يرى الشباب أنّ الحل يبدأ بالأفراد مثل قول شاب: «الانطلاق من أنفسنا»، أو قول فتاة: «على كلّ شخص أن يبدأ من نفسه»، وقول أخرى: «أوّل شي بدنا نغيّر حالنا، نبلش من حالنا لنقدر نغيّر المجتمع»، وبالمنطق نفسه تُردِّد أخرى: «معالجة مشاكل المجتمع هي عمل فردي أكثر منه جماعي».

- **الجمعيّات الأهليّة:** بينما يرى البعض الآخر دوراً للجمعيّات في التوعية مثل قول فتاة: «في بعض المشاكل يمكننا اللجوء إلى بعض الجمعيّات للمساعدة»، أو قول شاب: «التوعية هي العنصر الأساسي في المعالجة، لكنّها تحتاج إلى الوقت والمجهود، ويجب على الجمعيّات أنّ تتعاون فيما بينها لتوعية الناس وتثقيفهم من أجل مستقبل أفضل».

- **المدرسة:** تحدّث عدد قليل من المجموعات عن دور المدارس في التوعية، يقول أحد الشباب: «أنا برأيي يجب إضافة حصص في المدارس للتوعية»، وتقول فتاة: «التربية تبدأ من الأعمار الصغيرة، يجب أن يختلطوا عبر الأهل والمدرسة ويعملوا على عدم التفرقة والتحزّب». وتضيف إحدى الفتيات: «ضرورة تفعيل دور اتحاد الطلبة والحركة الطالبيّة، وإجراء انتخابات طالبيّة فاعلة».

- **الأهل:** في وقت يحمل الأهل دوراً ومسؤوليّات كبيرة في التربية، يتحدّث القليل من الشباب عن دور الأهل في التوعية مثل قول فتاة: «فالاهتمام بتربية الأولاد ومتابعتهم وتوعيتهم هي الأهمّ»، ومنهم من يرى ضرورة توعية الأهل ليتمكّنوا من توعية أبنائهم مثل قول أخرى: «يجب أن يكون هناك توعية للأهل حتى يتفهّموا مشاكل أولادهم، ويجب أن يكون هناك هدف للعطاء في المجتمع».

- **رجال الدِّين:** تشير قلّة من مجموعات التركيز إلى دور رجال الدّين في حلّ مشاكل المجتمع، باعتبارهم الأجدر بحلّ هذه المشاكل بدلاً من حلّها بالسياسة، مثل قول فتاة: «غالبيّة الأمور يستطيع الدِّين والفكر معالجتها، أمّا السياسة فلا جدوى منها». بينما ترى فتاة أخرى أنّ العمل الديني لرجال الدِّين ينطلق من دورهم في الطائفة مثل قول فتاة: «رجال الدِّين لهم دور كبير، وفي كلّ طائفة هناك الجيّد والسيىء منهم، أنا ألجأ إلى العمل الديني».
- **الدولة:** أمّا دور الدولة في التوعية فيقتصر على مجموعتين فقط، حيث يقول أحد الشباب: «على الدولة معالجة المشاكل وتوعية الأشخاص»، ويشير شاب آخر إلى التوعية من خلال البلديات: «على الدولة القيام بنشاطات توعية ومحاضرات عن طريق الجمعيات والبلديات».

أ. التطوّع والعمل الإنساني

في مجموعات التركيز التسع التي تعتبر أنّ حلّ مشاكل المجتمع عبر التطوّع، يبدأ الشباب بالتغنّي بقيمة التطوّع الإنسانيّة النبيلة أكثر من التعبير عن استعداده للمشاركة بالتطوّع الذي لم يرد إلّا في جملة واحدة على لسان شاب: «مبادرات مجتمعيّة، نحن أصلاً ضمن الجمعيّة نحاول إيجاد حلول للمنطقة، يوجد أشخاص يفضّلون العمل التطوّعي، وأنا منهم».

مجدّداً، يظهر الشباب في حديثهم عن التطوّع منفصلين عن أحاديثهم عن المشاكل التي طرحوها سابقاً، وكأنّهم يقولون إنّ المشكلة في الوضع السياسي الاقتصادي العامّ في البلاد، بينما الحل يكمن في التطوّع من أجل قضايا إنسانيّة مثل قول فتاة: «العمل التطوّعي، حيث نستثمر طاقات الشباب في عمل إنساني له فائدة على المجتمع»، أو قول شاب: «مساعدة الأشخاص الكبار في السنّ»، وقول آخر: «مساعدة المحتاجين وتقديم المساعدات الاجتماعيّة للفقراء».

يركّز الشباب على التطوّع من خلال الجمعيّات، «الجمعيّات هي الحلّ الأنسب، فهي لا تهدف إلى الربح والغالبيّة تثق بها»، أو قول فتاة: «التركيز على العمل التطوّعي والجمعيّات، هم الأساس في العمل التطوّعي والاجتماعي، وأكيد لهم تأثير»، أو قول شاب: «الجمعيّات المدنية تلعب دوراً أساسيّاً في معالجة مشاكل المجتمع، يجب دعمها ومساعدتها».

يركّز البعض على التطوّع كأفراد في حلّ مشاكل المجتمع، مثل التطوّع في حلّ مشكلة النفايات، بحيث تقول فتاة: «ممكن إجمع رفقاتي وننظّف الشارع أو المدرسة». يأتي الطرح الفردي في سياق التأكيد على عدم ثقتهم في الدولة ومؤسّساتها في الحلّ مثل قول فتاة: «يمكن أن نقترح أنا وأصدقائي القيام بحملات تنظيف على الرملة البيضاء مثلاً، لأنّ الدولة لن تفعل أي شيء يحلّ مشاكل الناس».

إذاً يعتقد الشباب أنّ التطوّع سوف يساهم في حلّ مشاكل المجتمع اللبناني، وتكشف النتائج أنّ تمثّل الشباب للمشاكل وطريقة حلّها يرتبط بالأساس بمشاكل الدائرة الضيّقة التي تحيط به، أي المجتمع المحلّي، ولم يعبّر الشباب عن ربط هذه الأزمات المحلّيّة ومشاكلها بالبعد الماكرو اجتماعي (الأزمات السياسيّة والاقتصاديّة الأعمّ).

ب. الحلّ السياسي بعيداً من مشاركة الشباب

فيما يهتمّ الشباب اللبنانيون بالشأن السياسي، معتبرين أنّ المشكلة الأساسيّة تكمن في الوضع العامّ للبلاد، لم يمتلكوا في المقابل الجواب السياسي المتبلور عن الحلّ لمشاكل الأوضاع العامّة، بل يذهبون إلى التوعية المُرتبطة بالقضايا الاجتماعيّة والثقافيّة التي تحصر المشكلة بالأفراد. ترى ٥ مجموعات تركيز فقط أنّ الحل السياسي هو الحلّ للخروج من أزمات المجتمع. واللافت أنّ الحل السياسي لدى الشباب اقتصر على اقتراحات عمّا يجب أن يكون. ركّز البعض على تغيير الحكّام مثل قول شاب: «معالجة مشاكل المجتمع تبدأ بتغيير جميع السياسيين لأنّهم فاسدون»، أو وفق شاب آخر: «المجتمع لن يتطوّر إلّا بالتخلّص من جميع السياسيين»، والتخلّص من المسؤولين مثل قول فتاة: «بسبب مشاكل الزبالة وأزمة السير لازم يغيّروا المسؤولين الزعران». وذهب

البعض الآخر إلى حلّ التسوية بين السياسيين مثل قول شاب: «الحلّ سياسي فقط، عندما يتفقون في السياسة ينعكس على المجتمع»، أو قول آخر: «لو أنّ الدولة تعمل بدلاً من سرقة الأموال لما كان هناك مشاكل»، أو قول فتاة: « التسوية بين الأحزاب، والعمل على خدمة الناس وليس مصالحهم».

كذلك، يعتبر الشباب أنفسهم خارج الحلّ السياسي من خلال الانكفاء عن ممارسة الاحتجاج والمشاركة السياسيّة، وأيضاً يعتبرون أنّ الدولة خارج الحلّ السياسي ولا أمل فيها كجهة للحلّ باعتبارها سبب المشكلة، حيث تقول إحدى الشابّات: «الدولة هي الأساس وسبب هذه المشاكل، الظروف المعيشيّة أدّت إلى تفاقم الأزمات»، وتضيف فتاة أخرى: «لا يوجد دور فعّال للعمل السياسي، هم المشكلة الأساسيّة والسبب الأوّل في مشاكل البلد، لذلك يجب وضعهم جانباً»، وصولاً إلى إدانة الدولة على حدّ قول شاب: «إذا صار في مشكل، الناس هي بتحلّو لأنّ ما في دولة».

تكشف هذه الآراء ثنائيّة مزدوجة في مواقف الشباب من أزمات المجتمع. تتمثّل الأولى في أنّ الحلّ لديهم يأتي من خارج المنظومة السياسيّة، وينطلق من الأفراد والمواطنين من خلال التوعية والتطوّع، وكأنّ المشكلة في الأفراد وليس في المنظومة كما تبيّن أعلاه في أحاديثهم عن مشاكل المجتمع. وتتمثّل الثانية في أنّهم لا يبدون منخرطين في هذا التطوّع، على الرغم من إبرازهم للتطوّع والتوعية، بل يعتبرون أنفسهم خارج الحلّ. تبدو هذه الثنائيّة المزدوجة كصدى لإزدواجيّة الزعيم أو الفاعل السياسي الذي يخطب بالناس بما يجب أنّ يكون، فيما تكون ممارساته في اتجاه آخر.

ت. لا أمل ولا حلّ

يعبّر عدد قليل من مجموعات التركيز عن يأسه من إيجاد حلول للأزمات القائمة في لبنان. منهم من يعبّر عن يأسه من تغيير ذهنيّة اللبنانيين باعتبارها المشكلة والحلّ في آنٍ معاً، مثل قول فتاة :»ما بتنحلّ شو ما عملنا، يوهموننا أنّها سوف تحلّ لكنهم مخطئين، الفساد لا يعالج، أنا أرى أنّه لا يوجد أمل، لأنّ المشكلة في الناس، لا نستطيع معالجة مشاكل المجتمع من دون تغيير الناس وتوعيتهم، وهذا مستحيل».

ويعبّر آخرون عن يأسهم ويفضّلون السفر أو الموت، مثل قول شاب: « أنا لا أفكّر في معالجة شيء، سوف أسافر قريباً، لذلك لم يعد يعنيني الوضع في لبنان، لن أستفيد إذا تغيّر شيء، سوف أسافر ولن أعود، الموت أفضل حلّ». ومنهم من يعبّر عن لا مبالاتهم إزاء ما يحدث في المجتمع بسبب استحالة التغيير فيه، مثل قول إحدى الفتيات «ما بيعنيلي المجتمع لأنّه ما بيتغيّر».

هناك فئة من الشباب فقدت الأمل في أي تغيير، وهو ما أنتج لديها تصوّرات سلبيّة عن الواقع، حيث تحضر النظرة العدميّة التي تدفع الشباب إلى اللامبالاة من تغيير واقعهم، ويتجلّى ذلك في تصريحاتهم لجهة تفكيرهم في الهجرة، لا بل وصل الأمر ببعضهم إلى تفضيل الموت على الحياة في هذه البيئة غير القابلة للتغيير. يرجّح أن تزداد أعداد هذه الفئة من الشباب بشكل كبير مع تفاقم الأزمة السياسيّة والاقتصاديّة، التي قد تهيّئ المناخ الملائم لتعزيز نزعات من الانحراف والعنف ضدّ المجتمع أو ضدّ الذات (مثل عمليّات الانتحار) نتيجة اليأس من أي تغيير.

خلاصة ونقاش

تنعكس أزمة الفضاء العامّ في لبنان على مكوّناته الفرعيّة، ففي ظل ضعف الدولة اللبنانيّة، برزت وتعزّزت أكثر الفضاءات الخاصّة (الأهليّة) الفرعيّة المكانيّة المُتمثّلة في الأهل والطوائف كجماعات وأحزاب.

في هذا الإطار، يعيش الشباب اللبناني في البيئات المُهمَّشة في حال من الصراع والتفاوض مع فضائهم الاجتماعي القائم على الجماعات القرابيّة والمذهبيّة والطائفيّة، وهو فضاء يجمع بين التهميش والفقر. مع ذلك، لأنّهم شباب، فهم يحاولون الخروج من الفضاء الخاصّ إلى الفضاء العامّ باستمرار، في محاولة منهم لتشكيل هويّتهم المُستقلّة داخل الفضاء العامّ.

تبلورت المحاولات المُستمرّة لتشكيل هويّة خاصّة بالشباب اللبناني في المناطق المُهمَّشة بأشكال متنوّعة وعلى مستويات مختلفة، بدا خلالها الشباب وكأنّهم في حركة ذهاب وإياب بين الفضاءين العامّ والخاصّ، إلّا أنّ هذه الحركة بقيت محكومة بالعمق بالفضاء الخاصّ، فبدت وكأنها حركة إياب أكثر منها حركة ذهاب، وكأن هناك حبل يشدّهم عند كلّ لحظة خرق ليعيدهم إلى مكانهم الأصلي الخاصّ حيث يتواجدون. نجحت لحظات الإفلات من الحبل في أحيانٍ قليلة وفي سياقات معيّنة وأماكن وأنشطة مُحدّدة بالمقارنة مع لحظات التمسّك به وعدم الإفلات منه.

فقد تبيّن أنّ الشباب، على مستوى الأنشطة وقضاء أوقات الفراغ، تمكّنوا إلى حدٍّ ما من الإفلات من قبضة الفضاء الخاصّ، من خلال اختيارهم «المقاهي» حيث تتوافر مساحة معيّنة لعيش ثقافتهم الشبابيّة وتشكيل هويّتهم، وساعدهم في تحقّق ذلك توافر عاملين هامّين: العامل الأول هو الحرّيّة القائمة في المقاهي التي تثبّت لحظة الإفلات من الأهل ومن مراقبتهم، ويتمثّل العامل الثاني بالفضاء الافتراضي وما يؤمّنه لهم من مساحات لا محدودة من الاكتشاف والتجارب والعلاقات. هذان البعدان، أي الحرّيّة والتواصل المفتوح (الإنترنت)، المتوافران في المقاهي، جعلا من الشباب في البيئات المُهمَّشة اليوم، يتّجهون إلى الانخراط في أنشطة اللهو أكثر من انخراطهم السياسي والثقافي والديني، لا بل أكثر ميلاً إلى العزوف والانكفاء عن المشاركة وممارسة المسؤوليّة المجتمعيّة في الفضاء العامّ والانخراط في شؤونه وشجونه، على الرغم من عمق الأزمة الاجتماعيّة الاقتصاديّة التي تطال اللبنانيين عموماً، والمقيمين في البيئات المُهمَّشة خصوصاً.

في المقابل، عند الحديث عن مشاكل المجتمع، يتبيّن أنّ هذا الانكفاء انحصر في الأنشطة المدنيّة والحراك السياسي والمشاركة الاجتماعيّة، ولم ينسحب على الفضاء الخاصّ، إذ عند إبداء آرائهم بقضايا المجتمع ومشاكله، نجد أنّ الشباب يتحدّثون بغزارة عن الأوضاع العامّة في البلاد، واتسمت أحاديثهم بإدراك مُعيّن لأزمات المجتمع العامّة، وهو ما يتناقض مع الانطباع الأوّل عن الشباب الناجم عن كلامهم عن الأنشطة وانخراطهم في اللهو فقط وإغفال أي إشارة إلى الانخراط السياسي. وفي ضوء تصريحات الشباب ردّاً على السؤال المُرتبط بالمشاكل والقضايا، كُشِف عن معطى آخر لديهم، فهم إلى جانب ممارستهم لأنشطة اللهو والإنترنت والألعاب الإلكترونيّة، يتداولون الأفكار والآراء عن الأوضاع العامّة، ما يجعل النظرة إلى الشباب في هذه البيئات مُركّبة، ويظهرون فيها منغمسين في ثنائيّة اللهو والانخراط السياسي معاً، إلّا أنّ هذا الانخراط السياسي هو انخراط أهلي جماعاتي.

تحيلنا القراءة السطحيّة للمصطلحات المُستخدمة في التعبير اللفظي إلى بعد مواطني، حيث يشتمّ الشباب السياسيين، وينبذون الطائفية، ويدعون إلى إلغاء النظام الطائفي والتخلّص من السلطة السياسيّة، إلّا أنّ هذه الخلطة المُركّبة لدى الشباب في البيئات المُهمَّشة، والتي تزاوج بين نقيضين، هي أقرب إلى الفضاء الخاصّ الجماعاتي الطائفي الضيّق، منه إلى الفضاء العامّ السياسي بالمعنى الهابرماسي، ويعود السبب إلى عدم ترجمة سلوك الشباب اللفظي إلى انخراط مدني مواطني.

يبدو أن هناك وجهان لصورة واحدة للشباب اللبناني في البيئات المُهمَّشة، وجه باهت شكلي على الرغم من كلّ تصريحات الشباب التي أوحت عكس ذلك، ووجه آخر عميق مُنخرط عصبياً. يبرز الوجه الأوّل بهذا الشكل الباهت من خلال غياب ثقافة المواطنة والقانون عن أحاديث الشباب،

فهم لم يتحدّثوا عن أنفسهم باعتبارهم مواطنين يتمتّعون بحقوق وواجبات لدى الدولة، ولم يشيروا إلى الحراك والمظاهرات والممارسات المدنيّة بالمعنى الاحتجاجي الرافض وضعف الانتساب إلى منظّمات المجتمع المدني والمشاركة فيها. بينما يبرز الوجه الثاني العميق في قوّة حضور الفضاء الأهلي الجماعاتي في أحاديث الشباب، وأبرز مثال على ذلك كلام غالبيّة الشباب عن اللجوء إلى المساعدة والاستنجاد بالفضاء الخاصّ، سواء كان الأهل أم المؤسّسات الأهليّة، لا سيّما الأحزاب السياسيّة الطائفيّة التي شكّلت المجال الأكثر ثقة ودعماً وحماية وأمناً، بينما لم تشكّل لديهم الدولة أي معنى من معاني الحماية والدعم إلّا في أحيانٍ قليلة حين تحدّثوا عن المؤسّسات الأمنيّة (قوى الأمن والجيش والشرطة)، في مقابل مرّات عديدة وجدناهم يعبّرون عن عدم ثقتهم بالدولة وبقدرتها على حمايتهم.

تتأكّد الصورة المُركّبة بعد تحليل آراء الشباب في كيفيّة التفاعل مع المشاكل الاجتماعيّة وطرق حلّها، حيث تكشف أحاديثهم عن ازدواجيّة بين ما يدّعونه من تعبيرات تتضمّن ثقافة مدنيّة لجهة كلامهم الكثيف عن ضرورة التطوّع والعمل الإنساني والتوعية من جهة، وغياب الأنشطة الفعليّة التي تندرج في إطار ترجمة هذه الأفكار إلى فعل مدني من جهة أخرى، سواء من خلال التطوّع والانخراط في منظّمات المجتمع المدني اللذين غابا عن أحاديثهم عن الأزمات السياسيّة والاقتصاديّة التي يمرّ بها لبنان، أو امتناعهم عن المشاركة في أنشطة الحراك المدني والسلوكيّات الاحتجاجيّة الرافضة للواقع. وفي حين يعتبر الشباب أنّ المشكلة الأساسيّة تكمن في الأزمة العامّة للبلاد والمنظومة الحاكمة المولّدة لهذه الأزمات، يرون في المقابل أنّ الحلّ يبدأ بالأفراد وضرورة توعيتهم وتثقيفهم باعتبار أنّ جهلهم هو المشكلة، لكن يغيب عن هذا الحلّ، الذي يرى أنّ الأفراد هم المدخل، أي فعل يرتبط بالاحتجاج والحراك لمواجهة النظام الطائفي السياسي الذي يعيدون إليه سبب الأزمة والمشكلة.

في هذا السياق، تبرز في البيئات المُهمَّشة مسألة الفروقات بين الجنسين. كانت الفتيات، في كثير من الأحيان، أكثر ارتباطاً بالفضاء الخاصّ من الذكور، إلى حدّ يجعل تجربتهن الشبابيّة ضعيفة جدّاً – علماً أنّ بعضهن لا يختبرنها إطلاقاً – لا سيّما في الأنشطة التي لا تتمّ إلّا بصحبة الأهل وحضورهم، وبالأخص تلك المجموعة القليلة من الشابّات اللواتي لا يغادرن المنزل، أي لا يغادرن الفضاء الخاصّ إلى الفضاء العامّ.

تكتمل صورة التصاق الإناث بالفضاء الخاصّ الفرعي وعدم استقلاليّتهن عن الأهل عند كلامهن عن الجهات التي يلجأن إليها لطلب المساعدة والحماية، إذ كان اللجوء إلى الأهل جوابهن جميعاً، ولم يُلحَظ أي خرق يتجاوز الأهل من أجل الاستنجاد بالمؤسّسات الأهليّة والمدنيّة. يؤكّد هذا الواقع على فروقات بين حركة الذكور والإناث، بحيث لا تتطلّب حركة الشباب حضور الأهل المباشر، وهذا ما يميّزها لأنّها لحظات حرّيّة نسبيّة يمارسها الشباب الذكور، لكنّهم، كما الإناث، يتواجدون ضمن الفضاء الخاصّ الأهلي، حتّى وإن كانوا في فسحة عامّة، بينما الإناث موجودات في الفضاء الخاصّ لأنّهن موجودات أصلاً مع الأهل، ولم يتمكنّ من الخروج من دائرتهن الضيّقة كما يفعل الذكور بالتعامل مع المقاهي. يمكن القول إنّ الشباب، ذكوراً وإناثاً، مع فروقات بسيطة بينهما، يعيشون في الفضاء الخاصّ الجماعاتي نفسه، وإنّما بطرق مختلفة ومتفاوتة بحسب المسموح والممنوع في الثقافة الاجتماعيّة الفرعيّة المحلّيّة.

خلاصة القول إن الشباب اللبناني في البيئات المُهمَّشة منكفئ عن العمل المدني لأنّ الفضاء العامّ نفسه ضعيف بالمفهوم الهابرماسي، أي باعتباره حاملاً لأفكار الشباب، وهو أكثر قرباً من فضاء مُشتّت إلى فضاءات خاصّة تحكمها العصبيّات القرابيّة والعشائريّة والطائفيّة. وعلى الرغم من أنّ الشباب أحرارٌ في بعض الأحيان، إلّا أنّ هذه الحرّيّة تقف عند حدود أنشطة اللهو، ولا تنسحب على خياراتهن السياسية أو حرّيّتهم في المشاركة في الفضاء العامّ والانخراط المدني، بحيث يبقى قرارهم مطوّقاً من الدائرة الخاصّة الأهليّة الطائفيّة الضيّقة.

تطرح في ضوء هذا التحليل مسألة العلاقة بين الفقر والثورة، إذ لا يبدو الفقر مولّداً لمشاعر ثوريّة كما تقول بعض الطروحات اليساريّة، أو على الأقل هذا ما توحي به أحاديث الشباب اللبناني في المناطق المُهمّشة. لكن مهما يكن تتجاوز هذه المسألة المقال الحالي.

انخراط الشباب الفلسطيني في الفضاء الاجتماعي العامّ بين المشاركة والانكفاء

كمال أبو شديد*



* عميد كلية العلوم الإنسانيّة في جامعة سيّدة اللويزة

مُقدّمة

تفترض هذه الورقة أنّ الشباب، الذين يفتقرون إلى الحدّ الأدنى من فرص المشاركة في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة في وضعيّات التهميش، يتّخذون مزيجاً من المواقف تراوح بين اللامبالاة والانكفاء أو الامتثال أو الهروب، في مقابل التمرّد والاحتجاج. هناك من يقاوم وضعيّات التهميش بطرق مدنيّة من خلال الانخراط في التطوّع والأنشطة المدنيّة سعياً إلى تحقيق العدالة الاجتماعيّة والإنصاف، وهناك من يلجأ إلى العنف والتطرّف. يمكن فهم هذه الوضعيّات من خلال التعرّف إلى تفاعل الشباب مع الخيارات المحدودة المُتاحة أمامهم في سياق التهميش، وكيفية رسم التقاليد الثقافية لمعالم هذه الخيارات خصوصاً بين الإناث في ضوء سيطرة التقاليد والسلوكيّات الأبويّة السائدة. بدورها تؤدّي وضعيّات التهميش إلى خلق أجواء من التهديدات المُتعدِّدة التي تؤثّر على حياة الشباب الاجتماعيّة وأدوارهم في المجتمع، فيلجؤون إلى طلب الحماية من جهات مُتعدّدة لحلّ مشاكلهم الاجتماعيّة والفرديّة التي يتعرّضون لها. أيضاً، طلب الحماية محكوم بالتقاليد والعوامل الاجتماعيّة والسياسيّة القائمة التي توجّه الشباب إلى اللجوء إلى جهات توفّر لهم الأمان، وتساهم في حلّ القضايا الاجتماعيّة والفرديّة التي تعترضهم باستمرار في وضعيّات التهميش.

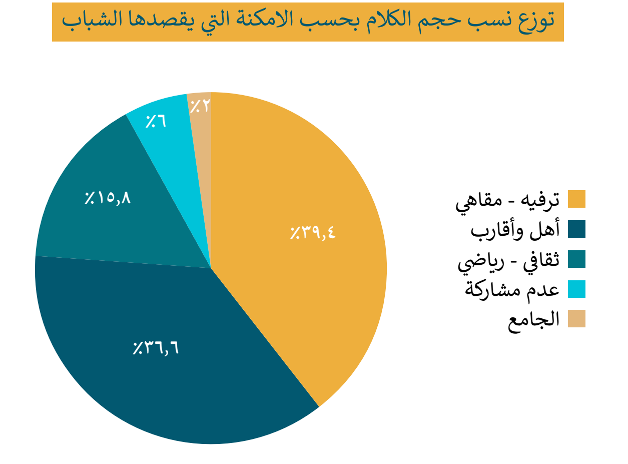
تسعى هذه الورقة إلى فحص مجموعة من مواقف الشباب الفلسطينيين في تفاعلاتهم المتنوّعة مع أنظمة القيود الاجتماعيّة، مثل تجاوز المعياريّة الثقافيّة والتمرّد عليها، في مقابل الامتثال لها، أو الهروب منها، فضلاً عن التعرّف إلى سلوكيّات طلب الحماية وسط التهميش، وإلى من يلجؤون في حلّ مشاكلهم. للتعرّف إلى هذه القضايا وفحصها من منظور الشباب، طرحنا عليهم في مجموعات التركيز ثلاثة أسئلة تناولت المواضيع التالية: الأمكنة التي يقضون أوقاتهم فيها، إلى من يلجؤون عادةً لطلب المساعدة أو الدعم عند تعرّضهم لمشكلة، وسبل معالجة المشاكل في محيطهم الاجتماعي[8].

أوّلاً - الحياة الاجتماعيّة: المكان الآخر

طرحنا على الشباب السؤال التالي: ما هو المكان الآخر المفضّل الذي تقضون أوقاتكم فيه غير المدرسة والبيت والعمل؟

يقضي الشباب أوقات فراغهم بطرق مختلفة في **فضاءات عامّة** أو **خاصّة**. قالت أكثرية الشباب في ٢٨ من ٤٨ مجموعة أنّهم يرتادون أمكنة عامّة للتسلية، أكثرها ارتياداً المقاهي، ثمّ الشارع، فالحارة، فمحلّات ألعاب الكمبيوتر، والبحر، وحديقة عامّة، وأحياناً دور السينما إذا توفّر المال. ومنهم من يقضي أوقاته في مكان عامّ ثقافي رياضي مثل ملاعب رياضيّة، نادي، جمعيّة، كشّاف، فضلاً عن التخييم والمسرح. في المقابل، قال الشباب في ١٠ مجموعات إنّهم يقضون أوقات فراغهم في مكان خاصّ (المنزل أو عند أقاربهم مثل الخال أو العمّ أو في منزل صديق)، فيما انقسمت ٤ مجموعات حول المكان الآخر المفضّل. إذا قسمنا فضاءات الشباب لجهة الأمكنة العامّة والخاصّة بحسب مجموعات التركيز، نحصل على ٣٦ مجموعة، بما فيها مجموعات المواقف المُتعدّدة، قالت إنّها تلجأ إلى الفضاء العامّ للترفيه في مقابل ١٢ مجموعات تنحصر في الفضاء الخاصّ أي المنزل أو في زيارة الأقارب. يشير الرسم البياني رقم ١ إلى توزّع حجم الكلام الذي قاله الشباب عن الأمكنة التي يقصدونها لقضاء أوقاتهم، وكانت الغلبة للفضاء العامّ المتمثّل بالمقاهي والأندية الرياضيّة والكشفيّة.

النسب المئويّة لحجم الكلام



8 أنظر حول منهجية الدراسة مقدمة هذا الكتاب.

١. الفضاء العامّ

أ. الترفيه الراكد (Sedentary Leisure Youth)

نتوقّف هنا عند الأماكن العامّة التي يقصدها الشباب للترفيه عن أنفسهم وهي ثلاثة: المقاهي، الشارع في الحارة أو السوق، وأمكنة الألعاب الإلكترونيّة. معظم الشباب الذين يقضون أوقاتهم في هذه الأماكن هم من الذكور الذين يتمتّعون بهامش واسع من الحرّيّة في قضاء أوقات طويلة خارج المنزل مع أقرانهم وأصدقائهم متجاوزين بذلك سلطة الأهل في تحديد الأمكنة العامّة للترفيه مُسبقاً. التسليات التي يقوم بها الشباب في هذه الأمكنة منخفضة النشاط، وفيها فترات طويلة من الجلوس وعدم الحركة أو ما تسمّيه أدبيات الموضوع الترفيه الراكد.

المقاهي

يرتاد الشباب بأكثريّتهم المقاهي التي تكاد تكون من الخيارات القليلة المُتاحة أمامهم للترفيه في المخيّمات كملاذ **للتنفيس** و**الفضفضة**، حيث يقضون أوقاتهم في لعب الورق وتدخين النرجيلة والتسلية للترفيه عن أنفسهم وسط ضغوطات التهميش التي يختبرونها. قال شاب من مخيّم نهر البارد: «القهوة هي لكلّ الشباب، ما في مكان ثاني ننبسط فيه ونلعب الورق». لكن على الرغم من شعبيّة المقاهي وانتشارها في المخيّمات، إلّا أنّها ليست مُتاحة دائماً أمام جميع الشباب بسبب الظروف الماليّة الصعبة. تالياً، تنحصر المقاهي بمن توفّر لديه المال، ويتقاسم روّادها الفاتورة فيما بينهم، «نذهب إلى القهوة ونتقاسم الفاتورة من مصروفنا» (شاب، مخيّم عين الحلوة).

الشارع في الحارة

يلجأ الشباب إلى الشارع القريب من المنزل والحارة أو السوق كبديل عن المقاهي نظراً إلى البطالة وعدم توفّر الإمكانات الماليّة. أوضح شاب من مخيّم عين الحلوة: «أنا وأصدقائي وأبناء الجيران نجلس يومياً في الشارع لأنّه لا يوجد مكان يجمعنا، فإذا خرجنا لنجلس في قهوة (فيها دفع مصاري) ونحن لا نعمل ولا نملك المال». هناك قلّة من الشباب قالت إنّها تستخدم الدرّاجات النّاريّة للترفيه عبر التجوّل في أرجاء المخيّم إلى جانب ارتياد المقاهي والجلوس مع الأصدقاء، «بعض الأوقات على الموتير أو القهوة أو جلسات مع الأصدقاء» (شاب، مخيّم البداوي).

محلّات الألعاب الإلكترونيّة

يتنقّل بعض الشباب في أرجاء المخيّم بين المقاهي والشارع والحارة ومحلّات الألعاب الإلكترونيّة، «محل الكمبيوتر (بلاي ستاشن)» (شاب، مخيّم نهر البارد). ويمكثون فيها حتّى صرف المال الذي يملكونه، «في محل الكمبيوتر، كلّ يوم بقعد حتّى يخلص مصروفي»
(شاب، مخيّم عين الحلوة - صيدا).

بشكل عام، يقلّ الترفيه في أماكن يستلزم ارتيادها تكلفة ماليّة، لذلك يقصدها الشباب من حين إلى آخر بحسب توفّر الإمكانات الماليّة وفق تعبير شابّة من المنكوبين: «وممكن أحياناً أن نخرج إلى أحد المطاعم والكافتريات». مثال آخر على معوّقات الترفيه الماليّة هو الذهاب إلى دور السينما أو المسبح في حال توفر المال، «إذا كان هناك مال نذهب إلى السينما أو المسبح، لكن لا نقوم بذلك كثيراً لعدم توفر المال دائماً» (شاب، تجمّع سعيد غواش - الطريق الجديدة).

ب. الترفيه المراقب

نتوقّف هنا عند نوع آخر من الترفيه في الفضاء العامّ تحدّث عنه الشباب، وهو **مُقيّد** للفتيات ويكون برفقة أفراد من العائلة، مثل قيام الفتيات بنزهات برفقة الأقارب أو أفراد من الأسرة. قالت شابّة من مخيّم نهر البارد: «عندما يأتي أقاربي من خارج لبنان أذهب معهم في نزهة»، وهو ترفيه جماعي ذو طابع عائلي. أمام الضيقة الماليّة، قال البعض إنّهم يذهبون إلى الأسواق للمشي والتسوّق عبر الزجاج (Window Shopping)، ويكون ذلك عادة في مجموعات، وهذا ما شدّدت عليه الفتيات المشاركات في أحاديثهن، ما يعكس **امتثالهن** لتقاليد المجتمع التي تفرض تجوّلهن في الأماكن العامّة جماعياً برفقة الأخوات «أنا أتفتّل بالسوق، أتفرّج على المحلّات، وأخرج مع أخواتي» (شابّة، مخيّم عين الحلوة)، وفي أوقات أخرى برفقة أمّهاتهن. أوضحت شابّة من مخيّم عين الحلوة: «أنا أذهب مع أمي وأخواتي البنات إلى المسبح (نقضي كلّ الصيف في المسبح ولكن أمّي معنا)». وللأب حصّته في التضييق على بناته في خياراتهن الترفيهيّة، بدلالة ما صرّحت به شابّة من البداوي: «أبي يضيّق على طلعاتي (أين، متى، مع من، ابنة من، أي ساعة راجعة...)». أمّا تنزه الفتيات إفرادياً بعيداً من مراقبة الأهل فله تداعياته، مثل الشجار مع الأمّ قبل الحصول على إذن بالخروج، «أو أذهب إلى مكان فيه هدوء (الطبيعة)، وطبعاً أذهب بعد شجار مع أمّي لتسمح لي» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا).

ت. الترفيه الثقافي - الرياضي

يتّخذ هذا النوع من الترفيه في الفضاء العامّ أشكالاً أفقيّة من المشاركة الاجتماعيّة تشمل الذكور والإناث معاً وفق تعبير الشباب في ٦ مجموعات تركيز. يشارك الشباب في العديد من الأنشطة الرياضيّة والكشفيّة، قال بعضهم إنّهم ينتسبون إلى فرق كشفيّة يقضون فيها ساعات طويلة وبشكل يومي، «أذهب إلى الكشّاف كلّ يوم تقريباً» (شابّة، المنكوبين). وقال آخرون إنّهم يمارسون الألعاب الرياضيّة مثل لعب الكرة، «أنا أذهب إلى النادي، لعب الكرة مع الأصدقاء» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا)، فيما يمارس آخرون الرياضة البدنيّة في الصلات (GYM). وقال البعض الآخر إنّه ينخرط في أعمال تطوّعية ذات بُعد ترفيهي تنظّمه الجمعيّات. قال شاب من مخيّم برج الشمالي - صور: «تعمل الغالبيّة في العمل التطوّعي في الجمعيّات، ويتردّدون على مراكز الجمعيّات يومياً». من الأمثلة على الأعمال التطوعية، المشاركة في مخيّمات صيفيّة ترفيهيّة للأطفال كمتنفّس يُعنى بصحّة الأطفال النفسيّة والجسديّة، الترجمة لهيئات أجنبيّة تهتمّ بالأطفال في أوقات ترفيههم «الجمعيّة المتطوّعة بها (مركز الصمود)، أنا أترجم للأجانب (أترجم الحوار بينهم وبين الأولاد والأهالي)، لديهم مشروع عندنا (مجموعة نشاطات صيفيّة للأطفال حتّى لا يلعبون في الشارع) والغالبيّة متطوّعون في هذا النشاط بترجمة» (شابّة، مخيّم برج الشمالي - صور).

كذلك يستخدمون أوقات فراغهم في أنشطة مجتمعيّة تمكينيّة مثل الخضوع لدورات تدريب توفّرها الأونروا، «بقية الفتيات يخضعن لدورة تحت عنوان (خدمة مجتمع) ثلاثة أيّام في الأسبوع في جمعيّة تُعنى بالعمل الاجتماعي، وهذه الدورات خاصّة بمدارس الأونروا» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا)، فضلاً عن المشاركة في دورات تدريب المسعفين «أحب المشاركة في ذلك، فقد شاركت بدورة في الدفاع المدني والإسعافات الأوليّة» (شابّة، الداعوق - الطريق الجديدة). الأنشطة ذات البعد المجتمعي تمكّن الشباب من المساهمة في تنمية مجتمعاتهم، والتصدّي لظاهرة المخدّرات المُنتشرة في المخيّمات عبر برامج التوعية، وهو ما سوف نتطرّق إليه لاحقاً في هذا التقرير.

٢. الفضاء الخاصّ

يميل الشباب وخصوصاً الفتيات في ١٢ مجموعة إلى قضاء أوقات فراغهم داخل الحلقات العائليّة الأساسيّة والمُمتدة، وهي المساحات والخيارات الضيّقة المُتاحة أمامهم والمسموح بها للترفيه، مثل قضاء الوقت في منزل الجدّة «بالبيت أو عند ستّي» (شابّة، مخيّم نهر البارد)، أو الجدّ «وأذهب لبيت جدّي وأيضاً أذهب لبيت أهل خطيبي» (شابّة، جبل البداوي)، أو الأقارب «أقاربي في منازلهم» (شابّة، البداوي). يرسم الأهل لأولادهم، وخصوصاً الفتيات، خارطة للأماكن المُتاح زيارتها تبعاً للتقاليد الجندريّة التي تحكم في البيئة الفلسطينيّة. في مرّات محدودة، يقضي

الشباب أوقاتهم خارج الحلقة العائليّة الأساسيّة والمُمتدة، فيزرون منازل الأصدقاء أو الجيران «جارتي وهي صديقتي» (شابّة، البداوي)، وهي أماكن مسموح بها نظراً إلى قربها الجغرافي من المنزل ووقوعها في نطاق رقابة الأهل. أمّا الأماكن البعيدة من المنزل فمن غير المسموح زيارتها بشكل عامّ وفق تعبير إحدى الشابّات من مخيّم نهر البارد: «عند أصدقائي وأماكن قريبة، أهلي ما بخلوني أروح بعيد، بالنهاية ما متوفّر عنا أماكن قريبة غير بيوت الأقارب والأصدقاء». ويسمح بزيارة الأماكن البعيدة خارج المخيّم في أيّام العطل، وهي تنحصر بزيارة الأقارب وفق ما أشارت شابّة من مخيّم نهر البارد: «أنا في أيّام العطل أذهب إلى أقاربي في مدينة صور وصيدا بداعي الزيارة».

هناك من يلتزم المكوث في المنزل رغبة بالوحدة وعدم مخالطة أحد، فوفق شابّة من المعشوق - صور: «المنزل، أحبّ الوحدة (حتّى لا أرى البشر)». وسبب مكوث الفتيات في المنزل هو تضييق الأهل عليهن في مسألة الخروج وفق ما عبّرت شابّة من مخيّم نهر البارد قائلة: «كما ذكرنا من قبل عن موضوع التشدّد لا نخرج من المنزل». وهناك من قال إنّه يفضّل المكوث في المنزل سعياً إلى الراحة، «البيت ثمّ البيت ولا مكان آخر بعد ضغط العمل» (شابّة، جبل البداوي).

في المنزل، تقضي بعض الشابّات أوقاتهن في ألعاب الفيديو والتلفون، «أفضّل ألعاب الفيديو والتلفون لذلك لا أذهب إلى مكان» (شابّة، مخيّم نهر البارد)، أو النوم «أنا أفضّل التخت (أحبّ النوم)» (شابّة، عين الحلوة)، وكلّها أنشطة راكدة. قالت بعض الفتيات أنّهن يقضين أوقاتهن في تحضير الحلويات وإعداد الأطعمة. قالت إحدى الشابّات من مخيّم عين الحلوة: «المطبخ يأخذ من وقتي (أحبّ صناعة الحلويات للعائلة)، وطبخ المأكولات». خلاصة الأمر، الفضاء الخاصّ المُتمثّل بالعائلة والمنزل محكوم بالتقاليد، التي تطال الإناث اللواتي يمتثلن للمفاهيم التقليدية، بما فيها النمط الأبوي للسلطة، ويتقبّلن أدوار الجنسين المُحدّدة بشكل حادّ في المجتمع وتحدّ من مساحة حرّيّة المرأة في الخروج من المنزل وإقامة الصداقات والعلاقات، باستثناء تلك التي تجيزها التقاليد مثل زيارة الأقارب أو الجارة القريبة من المنزل. في هذا الإطار، تحافظ العائلة على المعايير الثقافيّة والضامنة لاستمرار إرث **التقاليد الجندريّة** في المجتمع الفلسطيني.

ثانياً - الجهات التي يُطلب منها المساعدة أو الدعم

طرحنا على الشباب السؤالين التالين تباعاً: إلى من تلجؤون عادة طلباً للمساعدة أو الدعم إذا تعرّضتم لمشكلة؟ أو من يشعركم بالحماية في مجتمعكم؟ وكان الدافع وراءهما استكشاف سلوك البحث عن الحماية بين الشباب من جهة، وتحديد الجهات التي يثقون بها وسط التهميش من جهة ثانية، ما يؤدّي إلى توسيع نطاق المناقشة التي تدور حول المشاكل التي يواجهها الشباب سواء كانت فرديّة أو اجتماعيّة، آخذين بالاعتبار نظرتهم إلى المؤسّسات الاجتماعيّة والسياسيّة التي يفترض أن توفّر الحماية للشباب في وضعيّات اللامساواة. ردّاً على هذين السؤالين، قالت أكثريّة الشباب إنهم يلجؤون إلى الأهل والأقارب في ٣٣ مجموعة ثمّ الأصدقاء في ٧ مجموعات، وسمّت مجموعة واحدة سلطات عامّة ومنظّمات دوليّة، فيما تحدّثت ٣ مجموعات عن جهات عدّة، في حين انقسمت المواقف على الموضوع في ٤ مجموعات. تفضي حصيلة حجم الكلام الذي قيل عن طلب المساعدة إلى غلبة المواقف التي تلجأ إلى الأهل والأقارب بنسبة ٥٠٪، يتبع ذلك الأصدقاء (٢٢٪)، ثمّ جهات أخرى (١١٪)، فالمنظّمات الفلسطينيّة (١٠٪)، لتحلّ في المرتبة الأخيرة سلطات عامّة ومنظّمات دوليّة بنسبة ٦,٤٪. نستعرض أدناه مواقف الشباب حول طلب المساعدة بحسب أهمّيتها من الأعلى إلى الأدنى وهي خمسة: الأهل؛ الأصدقاء؛ جهات أخرى؛ منظّمات وأحزاب.

١. الأهل ملجأ أساسي للشباب في غياب القانون والحماية

أورد الشباب نحو ١٣٥ عبارة للدلالة على جهة طلب المساعدة توزّعت على ٩٢ جملة بوتيرة ١,٥ كلمة لكلّ جملة. احتلّت عبارة الأهل المرتبة الأولى في ترتيب تكرار العبارات التي تضمّنت كلّ من الأمّ والأخت والأخوات ثمّ الأب والأخوة ثمّ الأقارب. واعتبر الشباب أنّهم يلجؤون إلى العائلة كونها مصدر **قوّة**، وهذا ما عبّر عنه شاب من مخيّم نهر البارد: «العائلة هي مصدر القوّة والدفاع عن مشكلة تخصّ العيل». يثق الشباب بالأهل في ظلّ **غياب الحماية** عنهم في المخيّمات، «الأهل لأن ما في نظام بالمخيّم أو أحد نلجأ له» (شابّة، مخيّم نهر البارد). إنّ سبب اللجوء إلى الأهل كما أورده الشباب هو وعيهم لغياب الحماية، وهذا ما أوضحته شابّة من جبل البداوي: «لا يوجد نظام ولا حماية ولا قانون عادل ولا أشعر بثقة وأمان إلّا مع أمّي وأبي وإخوتي فقط، هم من يشعروني بالأمان». كذلك يدرك الشباب أن هناك أمور لا تُحلّ إلّا من الأهل، «حسب المشكلة في أمور لا يحلّها غير الأهل» (شاب، مخيّم البداوي - المنكوبين)، وخصوصاً الأمور الخاصّة «لأن ما في ثقة بأحد غير الأهل بالأمور الخاصّة» (شابّة، المنكوبين). ذكر الشباب ثقة الأهل وتفهّمهم في ١١ مجموعة كدافع أساسي لطلب المساعدة منهم، وتفضي أحاديث الشباب إلى أنّ تمسّكهم بالأهل كمصدر للحماية هو انعكاس لسيطرة ثقافة الجماعة في المجتمع الفلسطيني التي تتعزّز وسط اللامساواة المُقترنة بغياب شبه تامّ للمؤسّسات التي يفترض فيها توفير الحماية للمهمّشين بشكل فعّال.

٢. التفاوت في جهات طلب المساعدة في إطار الأهل والأقارب

نتوقّف هنا عند التفاوت في طلب الشباب المساعدة من الأهل بحسب حجم المشكلة من جهة، والسلطة والنفوذ من جهة ثانية.

أ. حجم المشكلة

قال الشباب إنّهم يطلبون المساعدة من الأهل تبعاً لحجم المشكلة. إذا كانت المشكلة اقتصاديّة مثلاً تلجأ الفتيات إلى الأخوة، «إذا اقتصادية ألجأ إلى أخي، وإذا مشاكل أخرى ألجأ إلى شخص وإلى أمّي» (شابّة، المعشوق - صور)، وذلك لاعتمادهن على الذكور في المسائل الماليّة. وإذا كانت المشكلة عاطفيّة تطلب الفتيات المساعدة من أمّهاتهن بهدف النصيحة، «أطلب النصيحة في الأمور العاطفيّة من أمّي فهي تساعدني في حلّ مشاكلي وتنصحني» (شابّة، برج البراجنة)، إذ تعتبر الشابّات أنّ الأم هي أقرب إلى تفهّم مشاكلهن من الأب. قالت إحدى المشاركات من مخيّم عين الحلوة - صيدا: «أنا أخبر أهلي، الغالبيّة يلجأن إلى أهاليهن وخصوصاً الأمّ، لأنّها تتفهّم أكثر من الأب». يلي ذلك، لجوء الفتيات إلى أخواتهن، «ألجأ إلى أختي الكبيرة» (شابّة، المعشوق - صور)، وأحياناً إلى الخالة، «أنا ألجأ إلى خالتي فهي تساندني وتدعمني. مرّة واجهت مشكلة فأخبرتها وهي شرحت الموضوع بطريقتها إلى أمّي (أمي تتقبّل أسلوبها)» (شابّة، البداوي). يمكن وصف طلب المساعدة باللولبي، يتطوّر تبعاً لنوع المشكلة والنوع الاجتماعي، وتكون نواة حلّها في أذهان الشباب كلٌّ من الأمّ والأخت لتتسع رقعتها إلى الأب في حال تفاقم المشكلة وخروجها عن السيطرة.

ب. السلطة والنفوذ

في المقابل، ذكر الشباب أنهم يلجؤون إلى طلب المساعدة ممن يمتلك **السلطة** و**النفوذ**. وأصحاب النفوذ هنا هم الأبّ أو صاحب نفوذ داخل أو خارج العائلة. على سبيل المثال، يلجأ الشباب إلى كبير العائلة أو إلى طلب المساعدة من الأب وأصحاب النفوذ. قال شاب من مخيّم البداوي: «غالبيّة

الأوقات نلجأ إلى الواسطة أو الأبّ. المقصود بالواسطة الكبير في العائلة أو أحد من خارج العائلة له كلمة». وأضاف زميله من مخيّم نهر البارد: «إذا تعرّضنا لاي مشكلة نلجأ إلى كبير العائلة أو الأبّ». نلاحظ أن الذين يطلبون المساعدة من الأبّ أو أصحاب النفوذ داخل أو خارج حلقة الأهل والأقارب هم من الذكور.

٣. الأصدقاء

لم يكن الكلام عن طلب المساعدة من الأصدقاء بحجم الكلام عن اللجوء إلى الأهل والأقارب، لكن برأي الشباب الأصدقاء موجودون دائماً لتقديم المساعدة واللجوء إليهم للفضفضة، «إذا كنت متضايق بفضفض لأصحابي» (شاب، المعشوق -صور). قال الشباب في ٧ مجموعات أنّهم يلجؤون إلى طلب المساعدة من الأصدقاء والرفاق باعتبارهم حاضرين للمساعدة في كلّ الأوقات وموضع ثقة. أوضحت شابّة من جبل البداوي: «ما في أحسن من الأصدقاء، في كلّ الأوقات موجودين». ووصفوهم أيضاً بأهل نخوة «لا نلجأ إلى أحد، الأصدقاء هم أهل النخوة» (شاب، مخيّم البداوي - المنكوبين).

هناك أمور يخفيها الشباب عن أهلهم وفق ما عبّر شاب من مخيّم برج الشمالي - صور قائلاً: «تخّيل إنو نخبّر أهلنا». هذا الأمر متوقّع في صداقات الشباب بحيث يظهرون من خلالها تفضيلهم لمناقشة قضاياهم الخاصّة مع أصدقائهم التي قد لا يقدّرها الأهل أو يفهمونها، مثل حلّ المشاكل التي قد تنشب بين الشباب أنفسهم، «بعض الأصحاب يحاولون المصالحة بيننا» (شاب، تجمّع سعيد غواش - الطريق الجديدة)، أو إذا كانت المشكلة مع الأهل أنفسهم وفق ما صرّحت به شابّة من مخيّم عين الحلوة - صيدا: «أنا ألجأ إلى صديقتي لكن بحسب المشكلة، خصوصاً إذا كانت المشكلة مع أهلي، وطبعاً (بصوت خافت) الأسرار أقولها لصديقتي» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). في بعض الأحيان، يلجأ الشباب إلى أصدقائهم سعياً منهم إلى تحييد الأهل عن المشاكل، «...طبعاً أحبّ أمّي لذلك لا أريد أن أشغلها بي» (شابّة، مخيّم نهر البارد)، أو بهدف تحييد الأبّ «لا ألجأ إلى أبي لأنه عصبي» (شابّة، مخيّم شاتيلا)، أو الأهل بشكل عامّ حقناً للدماء وسعياً وراء عدم تكبير المشكلة. «لا أخبر أهلي حتّى ما يصير دم» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا).

٤. المساعدة من جهات أخرى

تتنوّع مواقف الشباب في طلب المساعدة من جهات غير الأهل والأقارب والأصدقاء، ووفق مواقف الشباب لكلّ مشكلة جهتها المعنية لحلّها. معظم المشاكل التي يلجأ الشباب إلى طلب المساعدة من أجل حلّها هي فرديّة، تتطلّب تدخّل من يعتبرونه أهل اختصاص داخل أو خارج المؤسّسات. وإذا كانت اجتماعيّة يميلون إلى طلب المساعدة من أصحاب النفوذ والسلطة في المجتمع.

إذا كانت المشكلة مع المعلّمات في المدرسة مثلاً، يلجأ الشباب إلى مدير المدرسة، «إذا المشكل بالمدرسة بلجأ للمدير إذا كانت مع المعلّمات» (شاب، مخيّم البداوي). قال آخرون إنّهم يلجؤون إلى أفراد يثقون بهم في المؤسّسة مثل المدرسة، «أتحدّث إلى معلّمتي فهي على قدر عالٍ من الوعي وتحبّني كثيراً» (شابّة، مخيّم شاتيلا)، أو في مكان العمل «أنا عندما أواجه مشكلة مع أحد، وخصوصاً في المركز هنا، ألجأ إلى المديرة» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). صرّح البعض الآخر أنّهم يسعون إلى الحصول على مساعدة محترفة من أهل الاختصاص وفق طبيعة المشكلة ونوع المساعدة المطلوبة، وقال شاب من مخيّم برج الشمالي في صور: «ممكن تكون مشكلة صعبة وأذهب إلى أهل الاختصاص». أوضحت شابّة من مخيّم عين الحلوة – صيدا، نوع المساعدة من أهل الاختصاص: «أنا والكثير من صبايا المدرسة نلجأ إلى المساعدة الاجتماعيّة فهي أيضاً معالجة نفسيّة».

في المقابل، اعتبر آخرون أنّ المشكلة ضمن العشيرة يحلّها الشيخ، «إذا الموضوع ليس ضمن العشيرة نلجأ إلى المشايخ علماء الدّين لكن ليس بشكل كبير» (شاب، مخيّم نهر البارد). إذا كانت المشكلة اجتماعيّة أو سياسيّة، يلجأ الشباب إلى جهات دينيّة، «إذا مشكلة على صعيد اجتماعي أو سياسي ألجأ إلى جهة دينيّة» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا)، وذلك إيماناً بدورهم في التوعية، «رجال الدِّين في خطبة الجمعة لهم دور كبير في توعية الأشخاص» (شابّة،

المنكوبين). قال البعض إنّهم يلجؤون إلى شبكة علاقاتهم لحلّ المشاكل، «لديّ علاقات اجتماعيّة جيّدة، ممكن أن أطلب المساعدة من أحدهم إذا علمت أنّ هذا الشخص (بيده أو قادر) أنّ يساعدني». أحياناً يكون في الحيّ شخص نافذ يتولّى حلّ المشاكل ويلجأ إليه الشباب، «بالمنطقة في شخص نافذ، أو مسؤول المنطقة، وهو يحلّ المشاكل» (شاب، الداعوق - الطريق الجديدة). إلّا أنّ الشباب نظروا إلى الشخص النافذ في المنطقة بعدسات سلبيّة، «الشخص المسؤول (المُسيطر) عن الحيّ أو المنطقة أبو اللبن (أكبر تاجر حشيش)» (شاب، صيدا).

٥. منظّمات وأحزاب سياسيّة

كذلك يلجأ الشباب إلى طلب المساعدة من أصحاب النفوذ، مثل المنظّمات، إمّا بشكل مباشر عبر اللجوء إلى المعارف أو بشكل مباشر عبر قصد هذه المنظّمات. قالت شابّة من البداوي: «صديقتي أبوها مسؤول باللجنة الأمنيّة في المخيّم». وأضافت زميلتها من مخيّم البداوي: «أنا إذا كنت بهاد العمر بلجأ للقهوة في مجموعة شباب من التنظيمات». في المقابل، هناك من قالوا إنّهم يلجؤون إلى طلب المساعدة من المنظّمات مباشرة تبعاً لنوع المشكلة، فإذا كان الإشكال مع شخص من خارج المنطقة يطلبون المساعدة من اللجنة الأمنيّة، «وإذا كانت مشكلة في الحيّ مثلاً أو مع شخص غريب، ألجأ إلى اللجنة الأمنيّة في المخيّم» (شابّة، المنكوبين)، وإذا تعرّضت فتاة لتحرّش ما، تلجأ إلى المنظّمة بدلاً من الأهل، لاحتواء المشكلة وحقن الدماء، «لكن إذا تعرّضت لتلطيش، ألجأ إلى المنظّمة لتأخذ حقّي أفضل من اللجوء إلى أهلي فهم لا يتقبّلون، وذلك بحسب المكان، مثلاً إذا في منطقة الإسلاميين أو في منطقة فتح، كلّ منطقة تابعة لأحد، لا أخبر أهلي حتّى ما يصير دم» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). أمّا في حال حصول مشكلة أمنيّة مثل التهديد، يتمّ اللجوء إلى القوى الأمنيّة الفلسطينيّة، «وإذا تعرّضت للتهديد ألجأ إلى القوى الأمنيّة الفلسطينيّة» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). كان واضحاً في أقوال الشباب تقديرهم لنوع وحجم المشكلة وتحديد الجهة الفاعلة التي قد تساعدهم على حلّها كما سبق وذكرنا.

٦. لا ثقة بالجهات القائمة

صحيح أنّ الشباب قالوا إنّهم يطلبون المساعدة من جهات عديدة، لكنّهم في المقابل عبّروا عن عدم ثقتهم بالمؤسّسات الأمنيّة والدينيّة والسياسيّة ومؤسّسات الدولة في ٢١ مجموعة، بحيث يحجمون عن طلب المساعدة منها. نتوقّف هنا عند أسباب عدم ثقة الشباب بهذه المؤسّسات في طلب المساعدة، وهي قلّة فعاليّة هذه القوى وتقاعسها عن القيام بواجباتها في المخيّمات.

أ. قلّة فعاليّة القوى الأمنيّة

تحدّث الشباب عن ضعف بسط القوى الأمنيّة الفلسطينيّة سلطتها في كافة المخيّمات، «القوى الأمنيّة الفلسطينيّة ليس لها سلطة كافية في هذه المنطقة مثل بقية المخيّمات» (شابّة، المعشوق - صور)، واستخدموا تعابير تشير إلى عدم فعاليّتها «لا ألجأ إلى أحد لأن القوى الأمنيّة المشتركة (حكي فاضي)» (شاب، صيدا). ينسحب ذلك أيضاً على الجيش اللبناني، إذ قالت شابّة من مخيّم نهر البارد: «والله يوجد جيش ويوجد مشاكل مثل المخدّرات وعدم الأمان. الجيش لا يشكّل أمناً».

ب. تقاعس عن القيام بالواجب

ينسحب الأمر على الجهات المُكلّفة بالأمن في المخيّمات «لا نسمح لهم ولا نلجأ إليهم» (شاب، مخيّم البداوي). وعند شرح السبب، قالت إحدى المشاركات من المعشوق - صور: «التنظيمات هنا تلملم المشاكل حتى لا تسلّم الشباب إلى الدولة اللبنانيّة، كون أهل الشباب يتعرّضون لهم، لأنّ أولادهم توقّفوا بسببهم، أو يحاولون إقناع المطلوبين بتسليم أنفسهم، وطبعاً لا يتحقّق ذلك، يبقى المطلوبون مختبئون وهاربون داخل المخيّم» (شابّة، المعشوق - صور).

٧. لا ثقة برجال الدِّين

أيضاً، عبّر الشباب عن عدم ثقتهم برجال الدِّين وعدم الاعتراف بدورهم، «رجال الدِّين ليس لهم أي دور» (شاب، مخيّم نهر البارد). ورداً على سؤال طُرِح في مجموعات التركيز حول مدى لجوئهم إلى رجال الدِّين، قال أحد المشاركين: «ما حدا بيردّ عالشيخ في هذه الأيّام» (شاب، مخيّم برج البراجنة). ذهب بعض الشباب إلى وصف رجال الدِّين بالمنافقين «أمّا عن رجال الدِّين فإنّهم منافقون، لا يهمّهم سوى مصلحتهم الشخصيّة والمنظّمات، كلّ واحد لخدمة مصلحته فقط» (شابّة، مخيّم نهر البارد). وفيما يتعلّق بالشيوخ ومسؤولي المنظّمات، أبدى الحاضرون عدم ثقتهم بهم أجمعين، كذلك عبّر الشباب عن غياب الثقة بالمؤسّسات الدينية بشكل عامّ، «غياب الثقة باللجوء إلى المؤسّسات الدينيّة أو الأحزاب والتنظيمات الفلسطينيّة في حال وقوع مشاكل أو تهديدات» (شاب، برج البراجنة).

يستل من أقوال الشباب في ٦ مجموعات صور سلبيّة تعكس عدم ثقتهم المُطلقة بالجميع، «لا أثق بأحد نهائي باستياء ولامبالاة» (شابّة، مخيّم نهر البارد)، و«أنا ما بوثق بحدا (خاف من جارك قبل ما تخاف من حدا)، ما حدا لحدا» (شاب، المعشوق - صور).

٨. الجهات السياسيّة والأحزاب

عبّر الشباب عن عدم ثقتهم بالأحزاب السياسيّة كمرجع مُعتمد لحلّ مشاكلهم وتذليل التحدّيات التي يواجهونها في حياتهم اليوميّة، وترافق ذلك مع شعور بعدم الاهتمام بمراجعة الأحزاب والابتعاد عنها. قال شاب من مخيّم نهر البارد: «أكيد لا نلجأ إلى الفصائل». أمّا فكرة خدمة الأحزاب مصالحها فقط فهي مترسّخة في أذهان الشباب، «والمنظّمات كلّ واحد لخدمة مصلحته فقط والشعب فقير» (شابّة، مخيّم نهر البارد). ترافقت مواقف عدم الثقة والإحجام عن الأحزاب بإعلان الشباب عدم وجود نظام حماية متوفّر لهم، والإشارة إلى غياب القوانين العادلة التي توفّر الحماية لهم، «لا يوجد نظام ولا حماية ولا قانون عادل» (شابّة، جبل البداوي). تنسحب مواقف عدم الثقة لتشمل السياسيين أيضاً، «كلا، أبداً. لا نتوجّه بشكل مباشر لهم. كلا» (شابّة، الداعوق - الطريق الجديدة)، وهو ما يعكس حالة التمرّد لدى الشباب ضدّ المؤسّسات والجهات السياسيّة التي تعني بمصالحها الخاصّة من دون النظر إلى مصالح المهمّشين. إلى ذلك، أضافت شابّة من المنكوبين فساد الأحزاب قائلة: «لا فائدة لهم، هم أساس الفساد. إذا كانت مشكلتك مع ابن مسؤول بيجو عليكِ لا يقفون بصفّ الحقّ (اللجنة الأمنيّة)».

٩. الاعتماد على النفس

أمام أجواء اللاثقة في أذهان الشباب، قال البعض في ١٦ مجموعة إنّهم يعتمدون على أنفسهم في حلّ المشاكل بحسب حجمها، «أمّا المشكلة إذا كانت صغيرة بتنحل بإيدي» (شاب، مخيّم البداوي). يأخذ الشباب زمام الأمور على عاتقهم، «آخذ حقّي بيدي (لا ألجأ إلى أحد)» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). تكلّم البعض الآخر عن حلّ المشاكل بواسطة الضرب، «أحلّها بالضرب (إذا لزم الأمر)» (شاب، صيدا). برز مفهوم أخذ الحقوق بالقوّة من قبل الشباب عند الذكور والإناث معاً، إذ قالت إحدى المشاركات من مخيّم عين الحلوة - صيدا: «من يعتدي عليّ آخذ حقّي بيدي»، (شاب، تجمّع سعيد غواش-الطريق الجديدة). وأضافت بنبرة عالية «أنا إذا تعرّضت للتحرّش أضربه وأخذ حقّي بيدي».

ثالثاً - سبل معالجة مشاكل المجتمع ومدى استعداد الشباب للمشاركة فيها

طرحنا على الشباب السؤال التالي: ما هي أفضل السبل برأيكم لمعالجة مشاكل المجتمع من حولكم؟ وهل أنتم على استعداد للمشاركة فيها؟

يتنوّع الشباب المشاركون في المجموعات، منهم من اعتبر أنّ سبيل معالجة مشاكل المجتمع هي بالعمل الفكري والتوعية (الأكثرية في ١٢ من أصل ٤٨ مجموعة تركيز)، ومنهم من اعتبر أنّ معالجة مشاكل المجتمع تتمّ عبر العمل التطوّعي (الأكثرية في ١٠ مجموعات)، وفي ٣ مجموعات أخرى أفضت المواقف إلى اعتقاد بأن معالجة مشاكل المجتمع تتمّ من خلال العمل السياسي. انقسمت مواقف مجموعة واحدة بين العمل التطوّعي والعمل الفكري والتوعية والعمل السياسي. في المقابل، عبّرت ١٢ مجموعة عن افتقادها للأمل في معالجة مشاكل المجتمع، فيما انقسمت مجموعتان بين العمل الفكري والتوعية وفقدان الأمل، ومجموعة واحدة بين العمل الفكري والتوعية والعمل التطوّعي وفقدان الأمل من العمل. ولم تعلّق ٧ مجموعات على الموضوع. تفضي حصيلة مواقف الشباب إلى إبراز صور إيجابيّة وأخرى سلبيّة عن سبل معالجة وضعيّات اللامساواة في المخيّمات الفلسطينيّة ومدى استعدادهم للمشاركة فيها.

نستعرض أدناه، بحسب أهمّيتها من الأعلى إلى الأدنى، مواقف الشباب حول سبل معالجة مشاكل المجتمع، وهي: العمل الفكري والتوعية، والتطوّع، والعمل السياسي، والعمل الديني.

١. العمل الفكري والتوعية

نتوقّف هنا عند حديث الشباب عن التوعية والعمل الفكري في حلّ المشاكل الاجتماعيّة في البيئة الفلسطينيّة المُهمّشة، وإذا قمنا بترتيب مواقف وتصريحات الشباب عن الموضوع بشكل تسلسلي، نحصل على مسودّة مشروع لمقاربة المشاكل الاجتماعية للمخيّمات من هذه الزاوية، تتضمّن أفكاراً ومسوغات تفرزها جلسات المداولة والنقاش عن قضايا التنمية.

أ. التوعية

فكرة التوعية راسخة في أذهان الشباب، ويدعون إليها كأساس لتغيير عقليّة الناس وتوجيههم نحو الاستدامة في حلّ المشاكل. شخّص أحد الشباب القضية كالتالي: «إذا أردنا أن ننظّف شارعاً سوف يتّسخ بعد ثلاث دقائق، ما في وعي وما في (إدارة مُشتركة)» (شاب، المعشوق -صور). بالتالي، كما أشار زميل آخر له، يجب العمل على تحسين طريقة التفكير من خلال التوعية، «يجب العمل على تحسين طريقة تفكير الأشخاص (من خلال التوعية)» (شاب، مخيّم برج الشمالي - صور). بالمثل، قالت شابّة من مخيّم برج الشمالي في صور: «أنا برأيي لا يوجد حلول فعّالة للمعالجة، مهما كانت الحلول، وكما نشهد، فهي مرحليّة أو آنيّة (الفترة معيّنة)، ثم نعود إلى المشاكل من جديد (لا يوجد حلول جذريّة)، لذلك أرى أنّ التوعية وتغيير طريقة وأسلوب التفكير تساعد أكثر في تقليص المشاكل والحدّ منها». يعكس استخدام عبارة تقليص المشاكل والحدّ منها تفكيراً تنموياً ناضجاً لدى الشباب، قريب من الواقعيّة في تنفيذ المشاريع، بعيداً من الشعارات الممجوجة والفضفاضة التي دأب المسؤولون على اتباعها في خطابهم كلازمة يكرّرونها عن حلّ المشاكل الاجتماعيّة. بذلك، يشدّد الشباب على حملات التوعية، وهي ذات فعاليّة وتأثير في تغيير التفكير القائم. أوضحت إحدى المشاركات أنّ «حملات التوعية لها تأثير كبير، نحن نتأثّر بفيديوهات التوعية التي نحضرها» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا).

ب. العمل الفكري

كان التثقيف التدرّجي من أجل حلّ المشاكل عبر الكتابات التي تُحدِث تغييراً في العقليّة القائمة، الأبرز ربّما في حديث الشباب حول العمل الفكري. قالت شابّة من مخيّم عين الحلوة - صيدا: «العمل الفكري عبر الكتابات (اليافطات أو المقالات). إذا كانت موجودة في كلّ مكان، بالتكرار ممكن أن تغيّر من طريقة تفكير الشخص تدرّجياً». يقترن ذلك أيضاً بالحوار والإرشاد والتوجيه، «إيه نعم جلسات توجيه وإرشاد. ممكن نكون عم نعمل حملات بمساعدة الجمعيّات» (شاب، مخيّم نهر البارد). وأوضحت مشاركة من البداوي: «عمل فكري، توعية للتفكير. أكثر المشاكل عن عدم تفكير». كان

لافتاً إشارة الشباب إلى مبدأ التشاور والمداولة مع الخبراء، وهي ميزة من مزايا العمل الجماعي التنموي الذي يقوم على فكرة التواصل وتبادل الخبرات بين المعنيين يقوده الحوار، وقد عبّر أحد الشباب عن ذلك بالقول: «حملات توعية وطرح المواضيع على أشخاص أصحاب خبرة» (شاب، مخيّم نهر البارد)، وأضافت مشاركة من المنكوبين فكرة إجرائيّة للعمل الفكري قائلة: «عقد اجتماعات شبابيّة منها نستفيد من أفكارهم في حلّ المشاكل، ومنها يعتبرون أنفسهم مهمّين ومشاركين في أمور مجتمعهم، وذلك يحميهم من الفساد». وردت عبارات في أقوال الشباب تعبّر عن تبنّيهم لمواقف ومفاهيم مثل تقبّل الآخر والحوار وحلّ النزاعات، وعكست أقوال المشاركين إيمانهم بقوّة الشباب في إحداث التغيير من خلال توظيف طاقاتهم واستثمارها في نهضة مجتمعهم، «توعية الشباب لاستغلال طاقاتهم في العمل الجيّد لأن نهضة المخيّم مرتبطة بهؤلاء الشباب» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا).

٢.العمل التطوّعي

أجمع الشباب في ١٢ مجموعة على أنّ العمل التطوّعي يساهم في حلّ مشاكل مجتمعيّة تقودها المبادرات الشبابيّة، فضلاً عن المشاركة في الجمعيّات. كانت الروح التطوّعيّة ذات البعد المدني بارزة بشكل قويّ في أقوال الشباب، فقد تكرّرت عبارة (تطوّع وتطوّعيّة) ٢٠ مرّة في ٢٠ جملة من مجموع الجمل التي قالوها، أي بمعدّل مرّة واحدة لكلّ جملة. والتطوّع مُتعدّد الأشكال، إذ قال البعض إنّهم يلجؤون إلى الجمعيّات التي تحتضن مبادرات شبابيّة، «نلجأ إلى بعض الجمعيّات من خلال التطوّع والعمل معها لخلق مبادرات شبابيّة» (شاب، مخيّم نهر البارد). قدّم الشباب أمثلة عن أشكال الأعمال التطوّعيّة التي يقومون به، وقالت إحدى المشاركات من جبل البداوي: «مرّة عملوا ماراثون للإدمان والحماية والسلامة ولذوي الإعاقات، وشاركنا فيه لحثّ العمل على هذه المواضيع»، وأضافت زميلتها من الداعوق في الطريق الجديدة: «التطوّع بالجمعيّات ومساعدة الفقراء وتقوية حسّ التطوّع المجّاني». أيضاً، تشمل الأعمال التطوّعيّة التي ذكرها الشباب، القيام بجمع التبرّعات من أجل مساعدة الفقراء، «إنشاء صندوق مخصّص للتبرّعات ومساعدة العائلات التي هي بحاجة» (شابّة، الداعوق - الطريق الجديدة)، فضلاً عن العمل الاجتماعي الذي يساهم في فهم المشاكل وتقديم المساعدة «التطوّع ومساعدة الناس يخفّفان من المشاكل ويساعدان على الاطلاع على سبب الخلاف وتقديم المساعدة» (شابّة، الداعوق - الطريق الجديدة).

ونتوقّف أيضاً عند نقطتين أساسيتين أثارهما الشباب كنتائج سلوكيّة للعمل التطوّعي. تمحورت الأولى حول كفايتي المواطنيّة مثل تقبّل الآخر والمسؤوليّة والتخفيف من العنصريّة، فضلاً عن كفاية التعاون، «يساعدنا العمل التطوّعي على تقبّل الآخر ويزرع فينا حبّ التعاون وحسّ المسؤوليّة ويزيد من إنسانيّتنا، (لو جميعنا نفكّر هكذا) تنتهي المشاكل في المجتمع ونعيش حياة سلميّة» (شاب، مخيّم برج الشمالي). وأثار الشباب أهمّية العمل التطوّعي كوسيلة للتخفيف من العنصريّة «زيادة العمل الاجتماعي لتخفيف العنصريّة في المخيّم» (شاب، صيدا)، وحلّ المشاكل عبر الطرق السلميّة، إذ عبّرت إحدى المشاركات من مخيّم عين الحلوة - صيدا عن الأمر بالقول: «أي حلّ لا يُستخدم فيه العنف والسلاح»، ووافقتها زميلتها أيضاً من مخيّم عين الحلوة - صيدا قائلة: «المعالجة بطرق سلميّة، ربّما عن طريق العمل التطوّعي». تتفق أحاديث الشباب هنا مع يسمّى بكفايات القرن ٢١ لجهة المواطنة ومضامين التنميّة المستدامة ٢٠٣٠ لجهة مكافحة الفقر (الهدف الأوّل) والمحافظة على البيئة (الهدف السادس) على سبيل المثال لا الحصر. إذ يشدّد الشباب على أهمّية الانفتاح على الآخر لحلّ المشاكل، «لحلّ مشاكل مجتمعنا يجب أن يكون هناك ترابط بين كلّ الجهات» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). كذلك، عبّر البعض عن ضرورة التماسك، «الحلّ أنّ يكون كلّ الناس لبعضهم» (شاب، المعشوق - صور)، و «عندما يكون الشعب متّفقاً مع بعضه (تنتهي المشاكل)» (شابّة، مخيّم البص - صور).

أمّا النقطة الثانية المضيئة التي أثارها الشباب فتتمثل في نزعتهم نحو «فكّ الرهن» عن مسألة حلّ مشاكل المجتمع التي تستأثر بها المنظّمات السياسيّة والدينيّة، داعين إلى استبعادها من المعادلة كشرط أساسي لإنجاح العمل

التطوّعي. قال شاب من مخيّم شاتيلا: «وبالنسبة إلى الأنشطة التطوّعيّة لديهم استعداد للمشاركة والمساهمة بعيداً من مكاتب الفصائل الفلسطينيّة»، كشرط أساسي لنجاح العمل التطوّعي الخالي من السياسة والأديان والشعارات، «استقلالية هذا العمل المذكور هي التي تجعله ناجحاً وفعّالاً، لا سياسة ولا أديان تدعمه، عمل لا يحمل شعارات غير شعارات المواضيع المطلوبة» (شابّة، جبل البداوي).

٣. العمل السياسي

نتوقّف هنا عند المواقف المؤيّدة للعمل السياسي وتلك الرافضة له.

أ. المواقف المؤيّدة المُتمثّلة بالامتثال

تبنّى الشباب العمل السياسي في حلّ مشاكل المجتمع في ثلاث مجموعات فقط. يعتقد البعض أنّ العمل السياسي له وقع على المجتمع، «برأيي العمل السياسي له وقع أقوى على المجتمع» (شابّة، مخيّم برج الشمالي)، بالتعاون والتضامن مع المنظّمات «نكون يداً واحدة بمساعدة التنظيمات» (شاب، مخيّم نهر البارد). وهذا ما رفضه الشباب في مجموعات أخرى أثناء حديثهم عن العمل التطوّعي، لا بل اعتبروا أنّ نجاح العمل التطوّعي يتحقّق من خلال استبعاد السياسة والمنظّمات كما أوردنا.

ب. المواقف الرافضة المُتمثّلة بالتمرّد

في المقابل، كان هناك مواقف رافضة لعمل الأحزاب في المخيمات، «أنا لست مجبورة بتنفيذ قناعات حزب أو جهة معيّنة من دون قناعتي، فقط لأنني منتمية له» (شابّة، مخيّم برج الشمالي). ودعا آخرون إلى إلغاء جميع الأحزاب في المخيّم، التي تشكل برأيهم جزراً تتبع كلّ واحدة منها إلى جهة سياسيّة، وذلك سعياً إلى تحقيق السلام واستجلاب المساعدة لحلّ المشاكل القائمة في المخيّمات، «تُحلّ المشاكل عندما تُلغى جميع الأحزاب السياسيّة والتنظيمات خصوصاً في مجتمعنا في المخيّمات» (شاب، مخيّم برج الشمالي). وأضاف آخر: «نريد أن نعمل ونعيش بسلام من دون مشاكل، كلّ منطقة في المخيّم تابعة لجهة سياسيّة (منظّمات معيّنة)، لو تستقلّ هذه المناطق عنها يمكن للجميع التدخّل لمساعدة أهلها» (شاب، مخيّم برج الشمالي). وتعبيراً عن تمرّدهم، دعا الشباب إلى التظاهر لحلّ المشاكل، «يجب أنّ نخرج بمظاهرات لحلّ المشاكل» (شاب، تجمّع سعيد غواش - الطريق الجديدة)، بل إلى إحراق مكاتب التنظيمات، «حرق مكاتب التنظيمات» (شاب، برج البراجنة). أيضاً، أفضت بعض مواقف التمرّد إلى الدعوة لتغيير المخيّم، بما يشبه الدعوة إلى الثورة المسلّحة مستخدمين عبارات مثل (جرف المخيّم، تغيير النفسيّة المحمضة، وحرق الأحزاب). كذلك دعا البعض إلى نسف الموجود لإعادة بنائه من جديد، «الحلّ الوحيد لكلّ مشاكل المجتمع هو أن أفجّر المخيّم كلّه وأعيد بنائه من جديد» (شاب، صيدا). على الرغم من ذلك، الشباب واعون وحذرون من التعبير عن الرأي وممارسة حقّ التظاهر خشية القمع الأمني الذي يمارس ضدّهم، «إذا جمعت مظاهرة أو تجمّعاً، سوف يفضونها بالقوّة وسوف تعتدي علينا القوى الأمنيّة ويضربوننا»
(شاب، سعيد غواش - الطريق الجديدة).

٤. التوعية من خلال العمل الديني

تحدّث عدد من الشباب عن التوعية من خلال العمل الديني، «توعية الشباب عن طريق الدعوة الدينيّة والنصائح وهدايتهم إلى الطريق الصحيح» (شاب، مخيّم نهر البارد). كذلك رأت شابّة من مخيّم برج الشمالي أنّ الحلّ يكمن في الدعوة الدينيّة لأنّ الناس تثق برجال الدِّين ولديهم تأثير عليهم، وقالت: «في السابق كنت أسمع خطبة الجمعة، يتحدّثون فيها فقط عن الجنّة والنار، أمّا الآن أصبحوا يتطرّقون إلى المشاكل الاجتماعيّة (نتائج البروفيه، قرار وزير العمل ...)». لكن في مقابل هذا الموقف، عبّرت مشاركة أخرى عن شكوكها بفعاليّة العمل الديني في نشر التوعية، «المعالجة بواسطة الدعوة الدينيّة فيها تشدّد، عنّا إذا متديّن يجب أن تمتنع عن الحياة لأنّ كلّ شيء حرام»
(شابّة، المعشوق - صور).

٥. فقدان الأمل

قالت الأكثريّة في ١٢ مجموعة إنّها فقدت الأمل من العمل، وكذلك البعض في مجموعتين أخرتين حيث انقسمت مواقف المشاركين فيها بين العمل الفكري والتوعية وفقدان الأمل من العمل. عبّرت مواقف الشباب عن صور سلبيّة عند حديثهم عن العمل التطوّعي التنموي وقلّلوا من شأنه نظراً إلى معوِّقات مجتمعيّة بنيويّة تعترض تنفيذه.

٦. إلى ماذا يعزو الشباب أسباب فقدان الأمل؟

نتوقّف هنا عند الأسباب التي أوردها الشباب الفلسطينيون عن فقدان الأمل، وهي:

الفساد وجمود أفكار المجتمع

ألقى البعض اللائمة على عدم وجود قدرة على حلّ المشاكل، «ما في قدرة على حلّ المشاكل» (شاب، مخيّم البداوي)، متّهمين المؤسّسات والتنظيمات بعدم قدرتهم على حلّ المشاكل، «ما في حلول، أصحاب الأمر ما عم بيقدروا يحلّوها، تنظيمات أو مؤسّسات» (شاب، مخيّم البداوي). وألقى آخرون اللائمة على التفكير والمواقف اليائسة السائدة في المجتمع التي ترفض تلقي أفكاراً مختلفة، «نحنا إذا بدنا نطلع نحكي مع العالم ونحلّ المشاكل بفكرونا مجانين» (شاب، مخيّم نهر البارد)، أي ما يمكن وصفه بجمود أفكار المجتمع وركودها، وعزا الشباب الأمر إلى فساد المجتمع، «لا وجود للحلول بمجتمع فاسد مثل مجتمعاتنا» (شاب، مخيّم البداوي).

غياب القيادة وإرادة التغيير

تحدّث الشباب عن نزعة الكسل وعدم وجود مُحرّك للمجتمع لقيادته نحو التغيير، «الناس عندها خمول ومُخدّرة وغير قادرة على التغيير، يجب أن يكون هناك مُحرّك لهؤلاء الناس لكن لا أعرف من هو أو ما هو هذا المُحرّك» (شاب، مخيّم برج الشمالي)، ويترافق ذلك مع غياب إرادة التغيير، إذ أوضحت شابّة من مخيّم عين الحلوة – صيدا: «في البداية يجب على الإنسان أن يكون لديه الإرادة في التغيير لكي تُحلّ المشاكل في المجتمع، لأن مهما فعلنا، إذا لم تكن هذه الإرادة نابعة من الشخص، (بتحكي للصبح من دون نتيجة)».

أظهرت مواقف الشباب وجود يأس وغضب وإحباط بينهم، مستخدمين عبارات مثل «ما في حلّ، نحن لوحدنا ما منقدر، لا يوجد حلول، ما حدا بينفع». وامتزجت مشاعر اليأس بالدعوة إلى الهجرة: «المخيّم خراب وليس له حلّ ولا علاج، الحلّ الوحيد لدينا هو الهجرة والخروج منه» (شاب، صيدا).

٧. نوع المشاكل

أورد الشباب في أقوالهم العديد من المشاكل التي تمثّل في تفكيرهم عوائق تعترض السعي إلى حياة أفضل في وضعيّات التهميش، كانت أعلاها في المشاكل الاجتماعيّة في ١٣ مجموعة، فيما تحدّث الشباب في ٤ مجموعات عن المشاكل السياسيّة، وتحدّثت مجموعتان عن المشاكل الاقتصاديّة والخدماتيّة، فيما لم تعلّق ٢٩ مجموعة على نوع المشاكل.

أ. المشاكل الاجتماعيّة

عبّر الشباب عن عدد من المشاكل الاجتماعيّة في المخيّم وأبرزها **البطالة** لعدم وجود فرص عمل، فضلاً عن مسألة **الإدمان** على المخدّرات. اعتبر الشباب أنّ البطالة هي لبّ المشكلة، بحيث يبدأ حلّ مشاكل المخيّم بمقاربة مسألة البطالة أوّلاً، «في البداية يجب معالجة أزمة البطالة عند الشباب لأنّها الأساس في مشاكل المجتمع (هي سبب لكلّ المشاكل)» (شاب، مخيّم برج الشمالي). تؤدّي البطالة إلى تعاطي المخدّرات، وصولاً إلى وفاة البعض بسبب الجرعات الزائدة، «في المخيّم الشباب تموت بسبب الجرعات الزائدة من المخدّرات والتنظيمات الإرهابيّة المُسلّحة، ولا أحد يتحرّك، الشباب ينامون في النهار ويستيقظون في الليل» (شاب، صيدا).

عكست مواقف الشباب صورة فقدان مرجعيّة ضبط وحلّ مشاكل الإدمان من القوى الفاعلة في المخيّمات، إذ لفت البعض إلى أن الفصائل لا تتدخّل لمعالجة مشاكل المخدّرات،

كون أكثريّة العناصر تغطّي بيعها لكسب المال. في المقابل، رحّب الشباب بفكرة المساهمة بأي عمل يفيد المجتمع، وخصوصاً الإدمان، من خلال فتح المصحّات المُتخصّصة، «في بعض المشاكل المنتشرة في مخيّماتنا، لا بدّ من فتح مصحّ لعلاج الحالات التي تدمن على المخدّرات» (شاب، مخيّم نهر البارد).

صرّحت بعض المشاركات عن العديد من المعوّقات الاجتماعية و**التقاليد الجندريّة**، «العادات والتقاليد ما بتسمح أشارك بشي» (شابّة، مخيّم نهر البارد). من هذه المعوّقات التي صرّحن عنها هي العقليّة الذكوريّة السائدة التي تحجب المرأة عن المشاركة الفعّالة في المجتمع، «نحن بمجتمع ذكوري (نحن البنات) دورنا ضعيف، فالجندريّة موجودة لا يسمحوا لنا بالتدخّل لحلّ أي مشكلة حتّى لو كانت تخصّنا، بكلّ شيء الأولويّة للرجال» (شابّة، مخيّم نهر البارد). كان التهرّب من تحمّل المسؤوليّة حاضراً أيضاً في أذهان الشباب، «المشاكل كتيرة وما حدا عم بحلّها وكلّ واحد بقول أنا ما دخلني» (شاب، مخيّم نهر البارد). كذلك، عكست بعض تصريحات الشباب صورة النظام الاجتماعي الهشّ في المخيّمات وغياب الأطر الاجتماعيّة التي تكفل العمل المُشترك في حلّ المشاكل، «المشاكل عنا بالمخيّم ما إلها حلّ وما حدا بمون عَ حدا، الأبّ بطّل يمون على ابنه» (شاب، مخيّم نهر البارد).

ب. المشاكل السياسيّة

تحدّث الشباب عن عدم وجود طرق سياسيّة للحلول، «لا يوجد طريقة للحلول (خصوصاً بمشاكل المنظّمات)، فهم يكرهون بعضهم البعض» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). ورأى الشباب أن التدخّل السياسي السلبي في شؤون المخيّم شكّل أحد المعوّقات لا سيّما لجهة غياب المحاسبة والمحسوبيّات: «التدخّل السياسي هو أساس كلّ مشكلة في المخيّم، لأنّ كلّ شخص قام بتصرّف خاطئ لا يحاسب، كونه محسوباً على جهة تدعمه وتحميه إذا لجأ إليها، ويضيع حقّ الضحيّة» (شاب، مخيّم عين الحلوة - صيدا). في هذا الإطار، لم تخلُ بعض المواقف من الإشارة إلى تحديد السبب الأوّل للمشاكل، أي المنظّمات الفلسطينيّة، داعية إلى حلّها، «يجب أنّ تحلّ الفصائل مشاكلها أوّلاً، وثمّ المشاكل الاجتماعيّة» (شابّة، الداعوق - الطريق الجديدة). كذلك، كان هناك دعوة إلى إلغاء السياسة والدِّين كمدخل لحلّ المشاكل كافة، «عندما يلغون السياسة والدِّين، تحلّ جميع مشاكل المجتمع. عندما يبدأ الإنسان بمعالجة أي مشكلة بنفسه ومن منزله عندها تحلّ جميع المشاكل» (شابّة، مخيّم البص - صور). في المقابل، قلَّل البعض من فعاليّة التحرّكات بإعطاء أمثلة على ذلك، «التحرّكات ما بطعمي خبز، أوّل ما بدأ قرار وزارة العمل بخصوص إجازة العمل، كان في ٢٠٠٠ شخص يومياً بمظاهرات وتحرّكات، بعد شهر اختفى الجميع ووقفت المظاهرات» (شاب، برج البراجنة).

ت. المشاكل الاقتصاديّة

تقاطعت الصورة السلبيّة عن العنصر الاقتصادي مع الحديث عن الفساد، «غالبيّة المشاكل تُحلّ بالمصاري والواسطة من الجميع» (شاب، مخيّم البداوي). وأشار البعض إلى التغيير الحاصل في المخيّم لجهة الخدمات، «تغيّر كلّ شيء في المخيّم» (شاب، مخيّم برج الشمالي). عليه، دعا بعض الشباب إلى تغيير كلّ شيء، «يجب أن يتغيّر كلّ شيء (كهرباء، مياه، غياب الترفيه)» (شاب، المعشوق - صور)، عاكسين بذلك عدم رضى تامّ عن الخدمات المتوفّرة. وأشار أحد المشاركين إلى سوء وعدم التكافؤ في البنى التحتيّة بين المخيّمات، ما يولّد فوارق مناطقيّة بينها، «في عين الحلوة مثلاً هناك مساحات لعب، ونحن في شاتيلا نفتقر لأدنى متطلّبات العيش الكريم» (شاب، مخيّم شاتيلا).

أمام هذه المشاكل، سجّل الشباب استعداداً للمشاركة في معالجتها في ١٣ مجموعة من أصل ٤٨ (٢٧٪)، فيما لم تبدِ ٣٥ مجموعة (٧٣٪) استعدادها للمشاركة، ما يشير إلى انكفاء واضح لدى الشباب في الانخراط في أعمال مجتمعيّة تهمّ بيئتهم الاجتماعيّة.

٨. الجهات غير الفاعلة

حدّد الشباب في ٧ مجموعات (١٤,٥٪) الجهات غير الفاعلة في رأيهم، في حين، لم تعلّق ٤١ مجموعة (٨٥,٥٪) على الموضوع. أشار الشباب في مجموعتين إلى رجال الدين، وفي مجموعتين أخرتين إلى الجمعيّات والنشاطات الثقافيّة، وفي مجموعتين غيرهم إلى الدولة والأحزاب السياسيّة، وإلى التحرّكات الشعبيّة في مجموعة واحدة.

قلّل الشباب من فعاليّة دور رجال الدَّين في حلّ المشاكل، «يتم سجن أصحاب المشاكل والتوجّه إلى الأمن، لا وجود لدور علماء الدِّين، طول الوقت بالجامع وكتب الكتاب، هي الأمور يلي شاطرين فيها» (شاب، مخيّم نهر البارد). وردّاً على سؤال حول ما إذا كان العمل الديني هو الحلّ، وإن كانوا يرتادون الجوامع، أجاب البعض عن الشقّ الثاني من السؤال، «زوروني كلّ سنة مرّة» (شاب، الداعوق - الطريق الجديدة)، و»أنا بصلّي بالبيت»، فيما أحجموا عن التعليق مباشرة على ما إذا كان العمل الديني هو الحلّ، واكتفوا بالتعبير عن ابتعادهم من المؤسّسة الدينيّة، حتّى في مسائل ممارسة طقوس العبادة والصلاة.

بالتوازي، قلّل الشباب من دور الدولة والأحزاب السياسيّة المُتمثّلة في القوى الأمنيّة والفصائل الفلسطينيّة في حلّ المشاكل، «القوى الأمنيّة فاشلة (يقولون دبّر حالك)» (شاب، مخيّم برج الشمالي - صور)، «و في المخيّمات الفصائل غير قادرة على فعل شيء» (شاب، صيدا)، معبّرين بذلك عن عدم ثقتهم بالمؤسّسات الرسميّة والسياسيّة في مقاربة مشاكلهم والعمل من أجل حلّها.

في المقابل، راوحت تصريحات الشباب بين مواقف مؤيّدة لفعاليّة دور الجمعيّات والنشاطات الثقافيّة، ومواقف تشكّك بدورها، إذ علّقت إحدى المشاركات على تصريح زميلة لها بالقول «تكلّمي كلام منطقي، التوعية لم تعد تأتي بالنتيجة» (شابّة، المعشوق - صور). لكن غالبية الشباب قالت إنّها تحبّ الانخراط في الأعمال التطوّعيّة والتوعية، على الرغم من وجود أكثر من رأي سلبي يفضي بأن لا فائدة منها.

خلاصة عامّة

يتعلّق الموضوع الأساسي في هذه الورقة بنزعات الشباب الفلسطينيين وسط وضعيات اللامساواة الاجتماعيّة التي يختبرونها في البيئات المُهمشة، وكيف يتفاعلون معها أو يقاومونها، وإلى من يلجؤون في طلب المساعدة لحلّ مشاكلهم الفرديّة والاجتماعيّة وسط الضغوط التي يتعرّضون لها. شكّلت الأسئلة التي طرحناها على الشباب في مجموعات التركيز مادة غزيرة تفضي إلى استنتاج أنّهم يعانون من قلّة الفرص على كافة الصعد والمستويات، فضلاً عن الملل، ما يؤدّي بهم إلى الانكفاء عن لعب أدوار اجتماعيّة تساهم في حلّ وضعيّات اللامساواة، بسبب انعدام الثقة بالمؤسّسات الأمنيّة والسياسيّة والدينيّة القائمة التي لا توفّر لهم الأمان الاجتماعي. في المقابل، كان لافتاً إثبات الشباب وعياً جيليّاً متميّزاً في ثلاثة مفاصل من حياتهم الاجتماعيّة: الاستخدام البنّاء للوقت عبر العمل التطوّعي والانخراط في الأندية الكشفيّة في ٦ مجموعات، الاعتماد على النفس في حلّ مشاكلهم في ١٦ مجموعة، والانخراط في الأعمال المدنيّة ذات الأبعاد التنمويّة التي تصبّ في معالجة مضامين المشاكل الاجتماعيّة القائمة في وضعيّات التهميش في ١٢ مجموعة. يبدو أن وعي الشباب لأهمّية المشاركة والانخراط في الأعمال المدنيّة والتعاون من أجل تحقيق الإنصاف والعدالة يمثّل نقطة مضيئة في التجديد الاجتماعي والثقافي في البيئات المُهمّشة، إلّا أن نزعة الشباب نحو معالجة وضعيّات التهميش عبر الأنشطة المدنيّة تقابلها العديد من المعوّقات الثقافيّة والبنيويّة التي تدفع بهم إلى الامتثال رضوخاً للأمر الواقع أو فقدان الأمل والانكفاء، أو التمرّد عليها لا سيّما المؤسّسات السياسيّة والمنظّمات الأمنية القائمة، فضلاً عن الهيئات الدينيّة.

تفاعل الشباب بأحجام متقاربة مع الأسئلة الثلاث وفق ما يستدل من مجموع حجم الكلام. بلغ المجموع العام للكلمات نحو ٨٤٥٥ كلمة، توزّعت نسبها المئوية على كلّ سؤال كالتالي: ٣٥٪ لطلب المساعدة، ٣٣٪ لسبل معالجة المشاكل، و٣٢٪ للمكان الآخر. تشير هذه النسب إلى اهتمام الشباب بالمواضيع المطروحة بشكل متقارب، ولو كانت نسبة طلب المساعدة أعلى بقليل من سبل معالجة المشاكل والمكان الآخر.

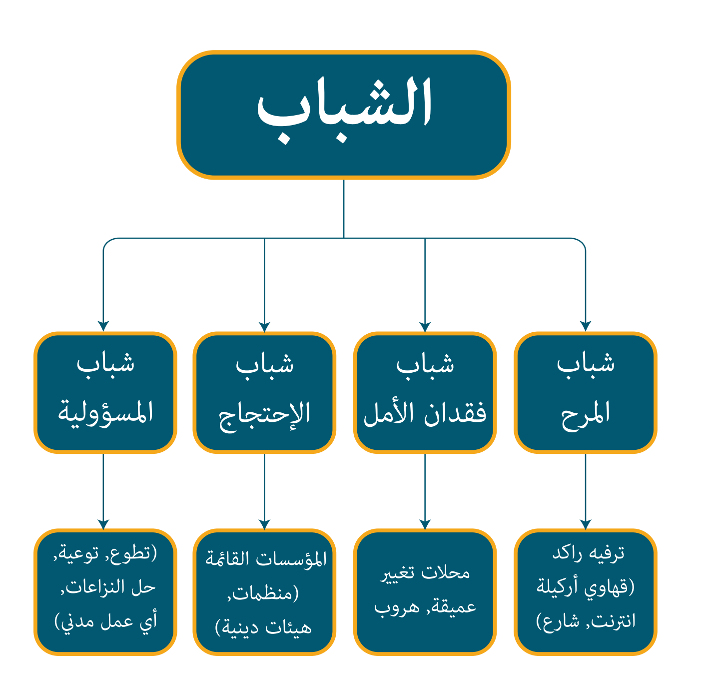
بالنسبة إلى طلب المساعدة، كان بارزاً ترسّخ مفهوم الأهل كمرجعيّة للأمان في أذهان الشباب، ما يعكس حضوراً قوياً لثقافة الجماعة، التي تتعزّز وسط اللامساواة المُقترنة بغياب شبه تامّ للمؤسّسات التي يفترض أن توفّر الحماية إلى المهمّشين بشكل فعّال. أعرب الشباب عن عدم ثقتهم بالمؤسّسات الدينيّة والسياسيّة والأمنيّة القائمة، سواء فلسطينيّة أو لبنانيّة. كرّر الشباب مواقفهم الرافضة للمنظّمات والمؤسّسات الأمنيّة، وبلغت نسبة حجم الكلام الذي قيل عن اللجوء إلى المؤسّسات الأمنيّة والمنظّمات نحو ٦،٣٪ فقط من مجموع حجم الكلام عن الجهات التي يلجؤون إليها، وهو ما يعبّر عن عدم ثقتهم بها. كان لافتاً تصّور الشباب للمنظّمات والمؤسّسات الدينيّة كمشكلة بذاتها بدلاً من اعتبارها مصدراً للحلّ، وألصقت بها صفات قويّة مثل الفساد والنفاق.

بالنسبة إلى حلّ المشاكل، نتوقّف عند النتائج السلوكيّة للعمل التطوّعي الذي تحدث عنه الشباب، ومنها المواطنية، وتقبّل الآخر، والمسؤوليّة، والتخفيف من العنصريّة، فضلاً عن كفاية التعاون، وحلّ المشاكل عبر الطرق السلميّة، وتحقيق السلام، وممارسة حقّ التظاهر. كان لافتاً محاكاة أحاديث الشباب عن العمل التطوّعي لبعض أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠، وهو ما يشير إلى نضج تفكير التنمية المستدامة في أذهان بعضهم. ويبقى التفكير المدني التنموي، الذي عبّر عنه الشباب، نقطة ارتكاز أساسيّة في محاولات التغيير الاجتماعي والسياسي في البيئات المُهمّشة. أيضاً، كانت لافتة دعوة الشباب إلى العمل المدني بعيداً من تدخّل المنظّمات والأحزاب السياسيّة كشرط أساسي لحلّ المشاكل في المخيّمات. كذلك، كان لافتاً بروز ما يحاكي «انتفاضة من نوع جديد» تتمثّل بالتمرّد على المنظّمات المُسلّحة والمؤسّسات السياسيّة والدينيّة والفساد عبر العمل المدني.

في المقابل، كان هناك من فقد الأمل إذا قلّل الشباب من فعالية مبادرات التوعية التي يقومون بها بسبب طغيان المنظّمات السياسيّة التي تعيق حلّ المشاكل في بيئتهم المُهمّشة.

بالنسبة إلى المكان الآخر المفضّل الذي يقضي الشباب أوقاتهم فيه، أفضت مواقف الشباب إلى تسجيل ثلاثة أنواع من الترفيه: الترفيه الراكد في الفضاءين العامّ والخاصّ، الترفيه المراقب للإناث وتحكمه التقاليد والمعياريّة الثقافيّة ذات المنحى الذكوري، وترفيه المسؤوليّة في الفضاء العامّ المُتمثّل بممارسة الشباب لأنشطة رياضيّة وكشفيّة ذات بعد مجتمعي تتضمّن أحياناً القيام بمشاريع تعالج القضايا الاجتماعيّة في المخيّمات وفي مقدّمتها آفة المخدّرات. تفضي مواقف الشباب الى أن الاستخدام السلبي لقضاء الوقت كان الأكثر غزارة في أقوالهم بالنسبة إلى توزّع المجموعات، ما يشير إلى تدنّي نسبة الذين يستخدمون أوقات فراغهم في أنشطة ذات فائدة على الصعيد الاجتماعي. يتمتّع الذكور بهامش واسع من الحرّيّة في قضاء أوقات طويلة خارج المنزل، ويتجاوزون بذلك سلطة الأهل في تحديد أمكنة الترفيه العامّة بعكس الإناث الذين يقصدون أماكن عامّة خاضعة لرقابة الأهل أو برفقة أفراد الأسرة أو أقارب من العائلة المُمتدّة.

نخلص إلى أنّ أقوال الشباب ومداولاتهم في مجموعات التركيز أفضت إلى تصوّر أنواع الشباب في البيئات المُهمّشة كما نوضح في المصفوفة رقم ١.



أنواع الشباب

إلّا أن شباب المسؤوليّة يعودون إلى كنف العائلة نتيجة المعوّقات البنيويّة، مثل المنظّمات السياسيّة وفقدان الثقة في حلّ المشاكل في البيئات المُهمّشة، ويتحوّلون إلى شباب المرح والترفيه الراكد، أو ربّما إلى شباب فقدان الأمل والانكفاء.

الحياة الاجتماعيّة للشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان

مقارنة إحصائيّة

عدنان الأمين*



*أستاذ العلوم التربويّة في الجامعة اللبنانيّة

مُقدِّمة[9]

سوف أقوم هنا بتحويل البيانات النوعيّة (الاستشهادات) في المجموعات السكّانية الثلاث إلى بيانات كمّيّة. طبعاً سوف نفتقد بهذه الطريقة حرارة الاستشهادات، ويغيب عنّا الكلام الحيّ الذي نطق به الشباب. لكن، لم يكن بالإمكان التعرّف إلى الفروق بين اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين، والتي تعود إلى وضع كلّ جنسيّة داخل المجتمع اللبناني، ولا إلى التشابهات العائدة إلى تماثل أوضاع التهميش بين الجنسيّات الثلاث، إلّا من خلال المقارنة الإحصائيّة. وسوف تشمل المقارنة، هنا، الفروق والتشابهات بين الذكور والإناث أيضاً.

أساساً، فُرِّغت محاضر جلسات مجموعات التركيز في سجّلات إكسيل. هناك ٢٢ سؤالاً طُرِح على كلّ مجموعة، ووضع لكلّ سؤال سجّل، أي ٦٦ سجّل إكسيل[10]. يتضمّن كلّ سجل جميع الاستشهادات الواردة في كلّ مجموعة تركيز، موزّعة في مواضيع وفئات فرعيّة. عُرّفت كلّ مجموعة برقم تسلسلي وباسم المُنسِّق الذي أدار العمل الميداني وسلَّم محضره، وعُرّفت أيضاً بجنس أفراد المجموعة.

حُدِّدت المواضيع والفئات بعد عدد من التجارب، ووُضِعت أيضاً في اصطلاح (code) خاصّ بكلّ سؤال. وهي ٢٢ اصطلاحاً لأن الاصطلاح الواحد يتعلّق بسؤال وليس بالجنسيّة. وفّرت هذه الطريقة قاعدة مشتركة تسمح بالمقارنة بين الجنسيّات الثلاث. بعد إنجاز الباحث المساعد تفريغ كلّ سؤال في ثلاثة سجّلات، كنتُ أرسل إلى كلّ باحث من الباحثين الثلاثة في الفريق السجّل الذي يعنيه، لأن كلاً منهم أخذ على عاتقه العمل على جنسيّة واحدة. كان لكلّ باحث ملء الحرّيّة بأنّ يتعامل مع البيانات المُرسلة إليه بالطريقة التي يراها مناسبة، بما فيها إعادة تجميع البيانات وتفريغها. طبعاً لكلّ باحث أسلوبه في التفكير وفي الكتابة. صحيح كانت تُعقد اجتماعات مستمرّة بين أعضاء الفريق، نتداول خلالها جميع الشؤون المُتعلّقة بالسجّلات والمواضيع والفئات وخطط التقارير التي سوف تُحضَّر ومنهجيّة الكتابة، إلّا أنّ ما كتبه كلّ من الزملاء أعضاء الفريق يحمل بصماته الخاصّة، مضموناً وأسلوباً. ما كتبه هو ملك له وهو مسؤول عنه.

إذن هناك «قاعدة مُشتركة» في جمع البيانات وتفريغها وتنظيمها وتحليلها والكتابة عنها، وهناك خصوصيّة لكلّ تقرير عن النتائج.

من جهتي، وتحضيراً للتقرير الذي أنا بصدده هنا، راجعتُ كلّ سجل إكسيل على حدة، وعدّلت في التصنيفات بطريقة أكثر تناسباً مع الغرض الإحصائي، وبما يسمح لي بنقل البيانات من الإكسيل (Excel) إلى الـ (SPSS).

هذا من حيث تنظيم البيانات، أمّا لجهة تحليلها إحصائياً فيحتاج الأمر إلى بعض التوضيحات.

هناك إذن ٢٢ سؤالاً، جمعناها في ستة محاور. يضمّ المحور الحالي (الحياة الاجتماعية) ثلاثة أسئلة[11]، وهناك ١٤٤ مجموعة (٤٨ مجموعة لكلّ جنسية). لو كانت أداة البحث هي الاستمارة، كان يجب أن يكون عدد الأجوبة في كلّ سؤال في جميع المجموعات ١٤٤ جواباً مع احتمال غياب (إهمال السؤال أو الامتناع عن الجواب عليه)، ويكون عدد «لا جواب» محدوداً. لكن مجموعة التركيز لها منطق آخر.

يطرح المُيسِّر السؤال على المجموعة فيجيب المشاركون. ومهما يكن عدد الذين أجابوا على السؤال، نحتسب النزعة لدى أكثرية المتكلّمين (مكان خاصّ[12]، مكان عامّ للتسلية[13]،

9 جزء من هذه المقدّمة مُستعادٌ تكراراً من الكتاب الأوّل، وتحديداً ما يتعلّق بطريقة تحويل البيانات النوعيّة إلى بيانات كمّيّة، والجزء الآخر منها خاصّ بهذا الكتاب، وتحديداً ما يتعلّق بموضوعه.

10 22 سؤالًا × 3 جنسيّات.

11 **سؤال رقم 12**: ما هو المكان الآخر المفضّل الذي تقضون وقتكم فيه غير المدرسة والبيت والعمل؟
سؤال رقم 13: إلى من تلجؤون عادة طلباً للمساعدة أو الدعم إذا تعرّضتم لمشكلة؟ أو من يشعركم بالحماية في مجتمعكم؟
سؤال رقم 14: ما هي أفضل السبل برأيكم لمعالجة مشاكل المجتمع من حولكم؟ وهل أنتم على استعداد للمشاركة فيها؟

12 بيت- بيت خال/ عم/ جيران/ صديق- عدم الخروج من البيت.

13 بلدات – بحر – حديقة – ملاهي كافيه – كومبيوتر – شارع – سينما.

مكان عامّ ثقافي رياضي[14]، مكان عامّ آخر[15] مثلًا). هنا، يكون مجموع المجموعات المُجيبة كاملاً (١٤٤)، فيما تعزى حالات عدم الجواب إلى أخطاء إداريّة، مثل قفز المُيسِّر عن الموضوع أو إهمال المُقرِّر جواباً على سؤال عند إعداد المحضر. وهذه أمور تحصل ولو نادراً، ولا نستطيع العودة إلى الوراء.

غياب المجموعة ككلّ (لا كلام) سهلٌ حصرُه واحتسابُه من المجموع. ما يستوجب عملاً إضافياً في الإحصاء يتعلق بتعداد المواقف في النقاشات. فبعد أن يحصل المُيسِّر من شباب المجموعة على الأجوبة المباشرة على السؤال، ينطلق النقاش حول الموضوع المطروح، وهو نقاش مفتوح، يحتمل الكثير من الجوانب أو المواضيع الفرعيّة. في موضوعنا، قدّم المشاركون بداية الأدلة على المكان الذي يفضلونه، وهذا ما نسمّيه في الفريق «بيّنات» (proofs)، وفي سياق الكلام عن الأمكنة يتفاعل الشباب ويتحدّثون مثلاً عن الأنشطة التي يمارسونها، والصحبة، وغيرها من الأمور والمواضيع التي يجري الاستطراد فيها. وبما أنّ كلّ مجموعة تتوسّع في مواضيع أكثر من غيرها، كان لا بدّ من حصر القضايا المطروحة في سائر المجموعات. هذه نقطة. والنقطة الثانية أن المجموعة نفسها لا تتحدّث بلسان واحد بل تُطرّح فيها مواقف مختلفة، فهناك من يتحدّث عن الترفيه، وغيره عن الرياضة، وثالث عن التطوّع، ورابع عن الهوايات، إلخ... فيكون موقف المجموعة في هذه الحالة «مُتعدِّداً».

نتيجة هذه الوضعيّة المُعقّدة، يكون احتساب القضايا والمواقف مُعقّداً أيضاً، وتتفاوت المجاميع من موضوع إلى آخر.

ثمّة ١٢٠ مجموعة طرحت موضوع الأنشطة من أصل ١٤٤، مقابل ٢٤ مجموعة لم تطرحه مُطلقاً. من المجموعات الـ ١٢٠ هناك ٦٨ مجموعة قدَّم كلّ منها جواباً واحداً، و٥٢ مجموعة قدّم كلّ منها أجوبة «مُتعددةً». جرى تفكيك هذه الأجوبة المُتعدّدة وتفصيلها في لائحة إلى جانب الـ ٦٨ جواباً، فحصلنا على ١٨٨ جواباً كان بالإمكان تتبعها وفق الجنس والجنسيّة. إن رقم ١٨٨ هو أعلى من رقم ١٤٤، لكنّه لا يعني ١٨٨ مجموعة بل ١٨٨ جواباً.

إذا راجعنا مجاميع الأجوبة التفصيليّة في هذا المحور نجد أنها تراوح بين ٧٦ جواباً كحدّ أدنى (معوّقات الخروج من المنزل) و١٨٨ جواباً (الأنشطة) كحدّ أقصى، كما هو مُبيّن في نتائج المقارنة أدناه.

هذا سرُّ غنى مجموعات التركيز، وجمال قراءة محاضرها، ثمّ صعوبة تحليلها لاحقاً. تبيّن من المحاضر (التي صار اسمها سجّلات إكسيل) أن المجموعات تشاركت في أمور كثيرة من تلقاء نفسها واختلفت في أمور كثيرة. وقد سمحت هذه «الأمور الكثيرة» بكتابة أوراق عن كلّ جنسيّة على حدة (الفصول السابقة في هذا الكتيّب)، وتسمح الآن بالمقارنة بين الجنسيّات بحثاً عن النقاط المشتركة والنقاط المختلفة أيضاً.

تهدف المقارنة الإحصائيّة إلى:

- استخراج ما يجمع المجموعات الثلاث طالما أنها تعيش في شروط تهميش اجتماعي مُتشابهة.
- استخراج الفروق بين الجنسيّات وبين الجنسين.

14 ملعب رياضة – نادي – جمعيّة – كشّاف - منظّمة – تخييم - حملات – مسرح - الدفاع المدني.

15 مكان عامّ للنشاط السياسي - مكان عامّ ديني - جوامع - منظّمات سياسيّة – مسيرات - لا مكان (غير مُحدّد).

نتائج المقارنة

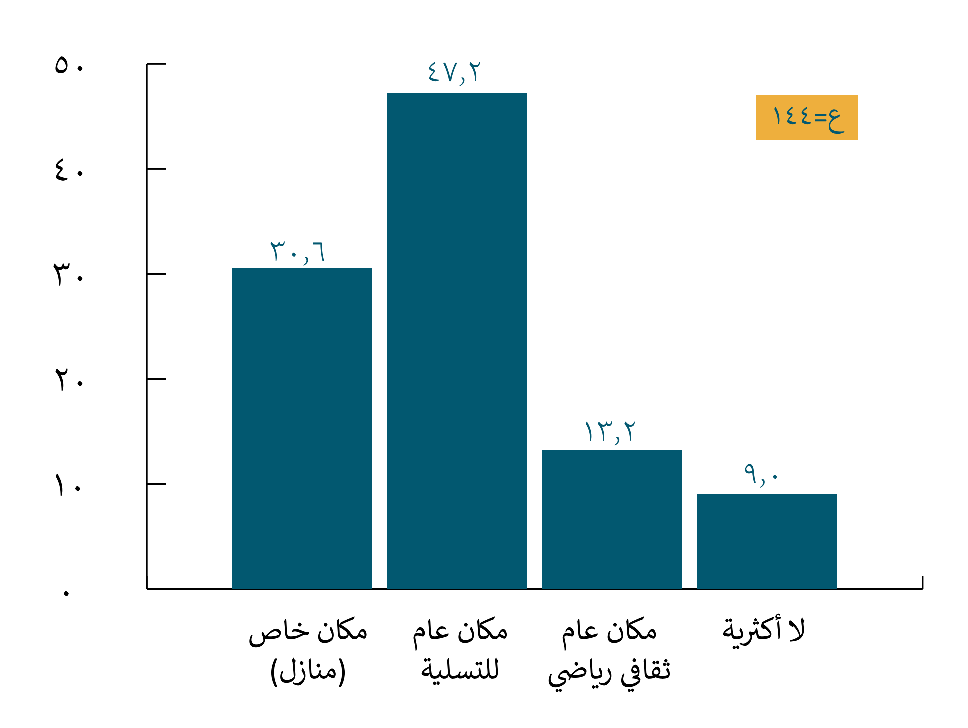
تنطلق هذه الدراسة من أطروحة أن ثقافة الشباب هي غير ثقافة الأهل، وأن الأصدقاء (الأقران) يكوّنون ثقافة الشباب، بالتالي هم منافسون للأهل في حياة الشباب. تفترض هذه الأطروحة أن الشباب يخرجون (بعد الطفولة) من الفضاء الاجتماعي الخاصّ (المنزل) إلى الفضاء الاجتماعي العامّ، وهو فضاء مستقلّ عن الأهل.

بالتالي، إن السؤال الرئيسي المطروح هنا هو التالي: إلى أي حدّ يخرج الشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان نحو الفضاء العامّ؟ ماذا يفعلون؟ مع من؟

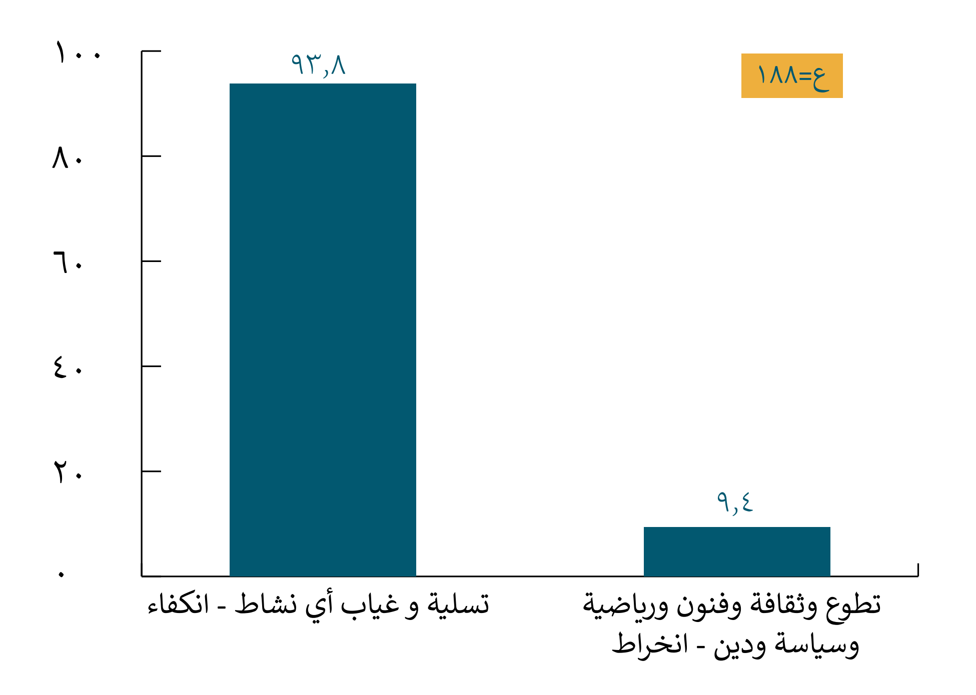
والسؤال الثاني هو: ما هي الفروق بين الجنسيّات والجنسين؟

الاتجاهات العامّة (المشتركة بين الجنسيّات الثلاث)

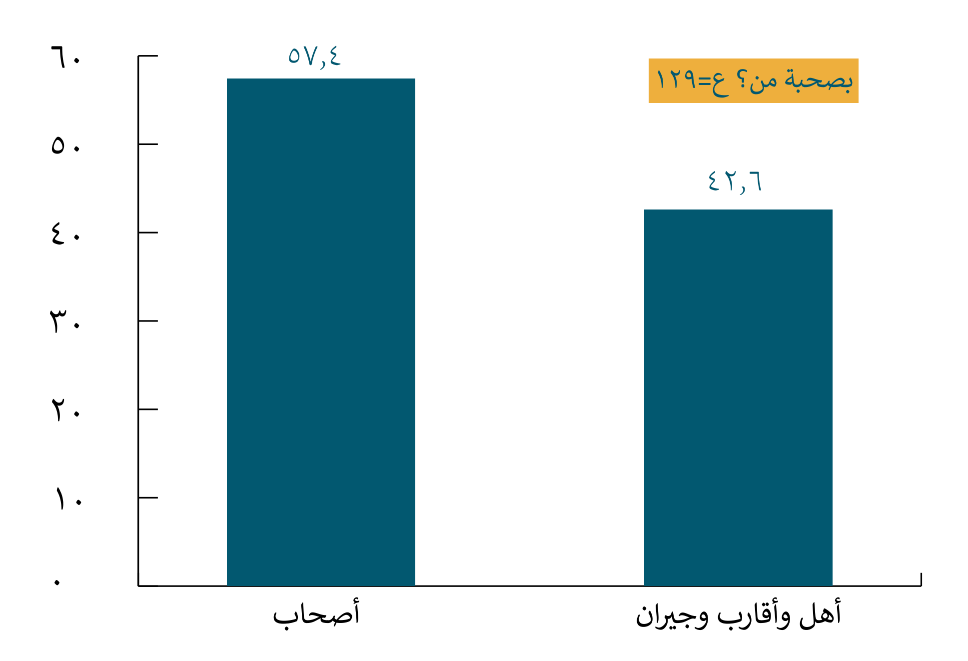
١. المكان الخاصّ في مقابل الأمكنة العامّة: بين أنواع الأماكن الأربعة، لم تسجّل أية مجموعة أكثريّة ترتاد أمكنة النشاط السياسي والديني (ولو أن هناك أفراداً ذكروا كلمات مثل مسجد، جامع، حزب، فصائل)، في حين توزّعت أكثريّة المجموعات بين أمكنة الأهل وأمكنة التسلية.



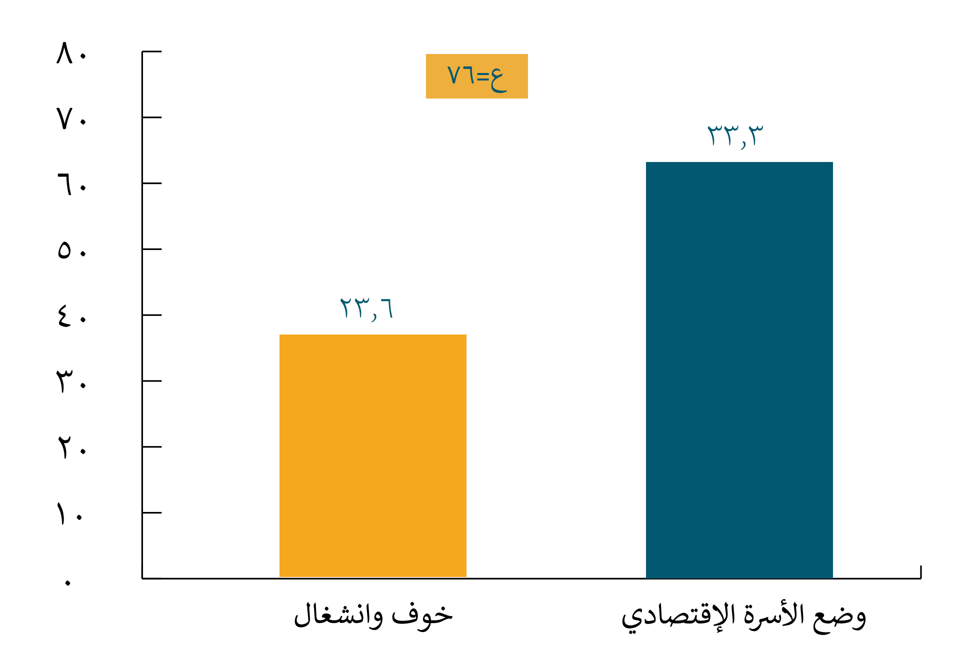
٢. تتأكّد هذه النزعة من نوع الأنشطة التي يمارسونها، وفق ما تبيّن في أحاديث الشباب، حيث الانكفاء الاجتماعي هو القاعدة.



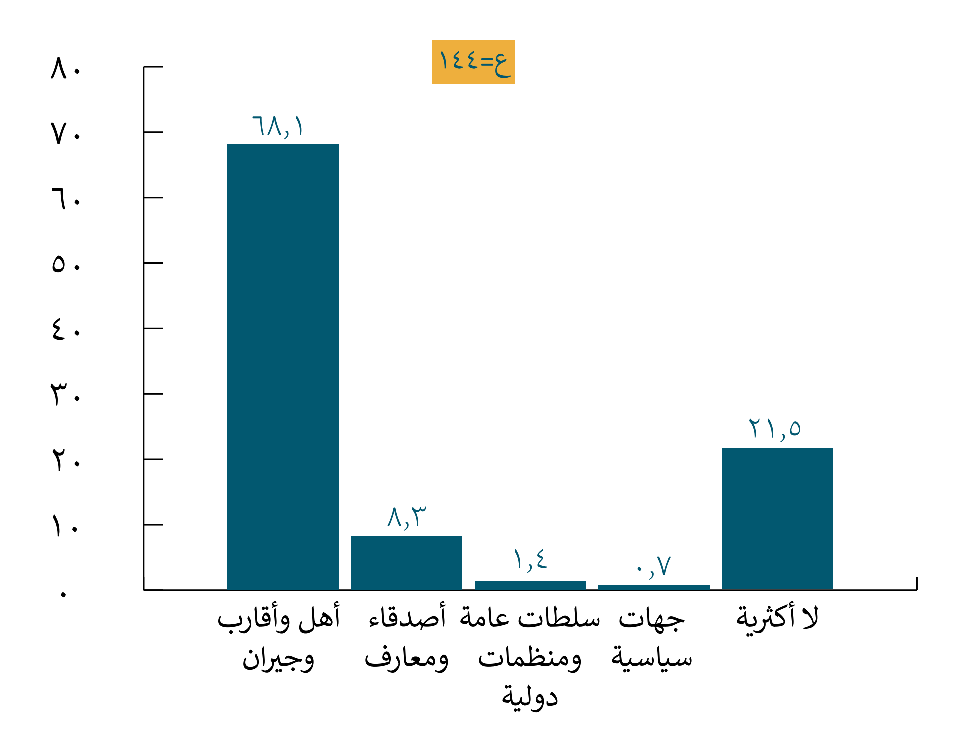
٣. يؤكّدها أيضاً الحضور القويّ للأهل بصحبة الشباب في هذه الأمكنة والأنشطة.



٤. ثمّ يؤكّدها، مرّة ثالثة، العامل الأسري في وضع حدود على الخروج من المنزل. هناك ٢٠ مجموعة ذكر فيها الشباب أنّه ممنوع عليهم الخروج من المنزل. وفي ٧٦ مجموعة طُرِحت فيها معوِّقات الخروج إلى الفضاء الشبابي العام، كانت الأسرة هي المعوق الرئيسي.



٥. بينما يتوقّع المرء أن يجد الشباب (عند الخروج إلى الفضاء العام) السند الاجتماعي في عالم الشباب نفسه من جهة، ولدى المؤسّسات العامّة (الدولة) والمدنيّة من جهة ثانية، نجد أنّ المؤسّسات الأهليّة تبقى هي السند بالنسبة لهم. وكأن الفضاء «الخاصّ» يجتاح الفضاء العامّ في حياة الشباب الاجتماعيّة. فقد اعتاد الشباب على طلب مساعدة الأهل والأقارب إذا تعرّضوا لمشكلة، وهم من يُشعرونهم بالحماية في المجتمع.



٦. بل أكثر من ذلك:

- تحدّثوا جميعهم تقريباً (١٣٥ مجموعة) عن الأهل عند الكلام عن طلب المساعدة، فيما لم يأتِ أكثر من ثلثهم (٥٣ مجموعة) على ذكر الأصدقاء.

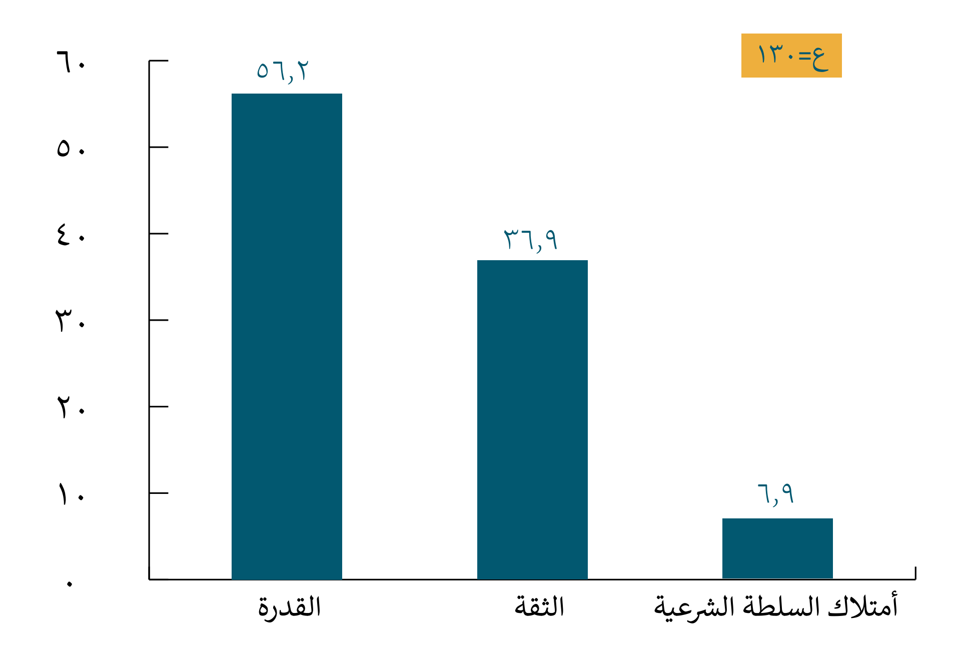
- ارتبط الدعم والمساندة عندهم بالأهل والأقارب والأحزاب السياسيّة والمنظّمات، في حين تركّزت مساعدة أقرانهم في الفضفضة والنصح والاستشارة.

- ونافست الجهاتُ السياسيّة والدينيّة الدولة في توفير الحماية الأمنيّة للشباب.

- في المجمل، كانت السلطات العامّة الأكثر غياباً في أحاديث المساعدة. يتوجّه الشباب إلى البلديّات للمراجعة، لكن تتجسّد «الدولة» عندهم بالأمن والجيش، ولم يخطر في بال أي منهم أنَّ الدولة توفِّر مثلاً الحماية الاجتماعيّة.

نوع المساعدة	أصدقاء	معارف	سلطات عامّة (أجهزة الدولة، وزارات، بلديات)	منظّمات دوليّة	جهات سياسيّة ودينيّة	أهل وأقارب وجيران
فضفضة وتبادل أسرار	١٣	٠	٠	٠	٠	٠
نصح واستشارة	٦٦	٣	٠	٠	١	٢٨
حلّ مشاكل	٠	١٩	٠	٠	٥	٠
مراجعة	٠	٠	٨	١٣	٠	٠
حماية أمنيّة	٠	٠	٢٠	٠	١٠	٠
دعم ومساندة	١٢	٨	٠	٣	٢٥	١٠٩
لا كلام	٥٣	١١٤	١١٦	١٢٨	١٠٣	٧
المجموع	**١٤٤**	**١٤٤**	**١٤٤**	**١٤٤**	**١٤٤**	**١٤٤**

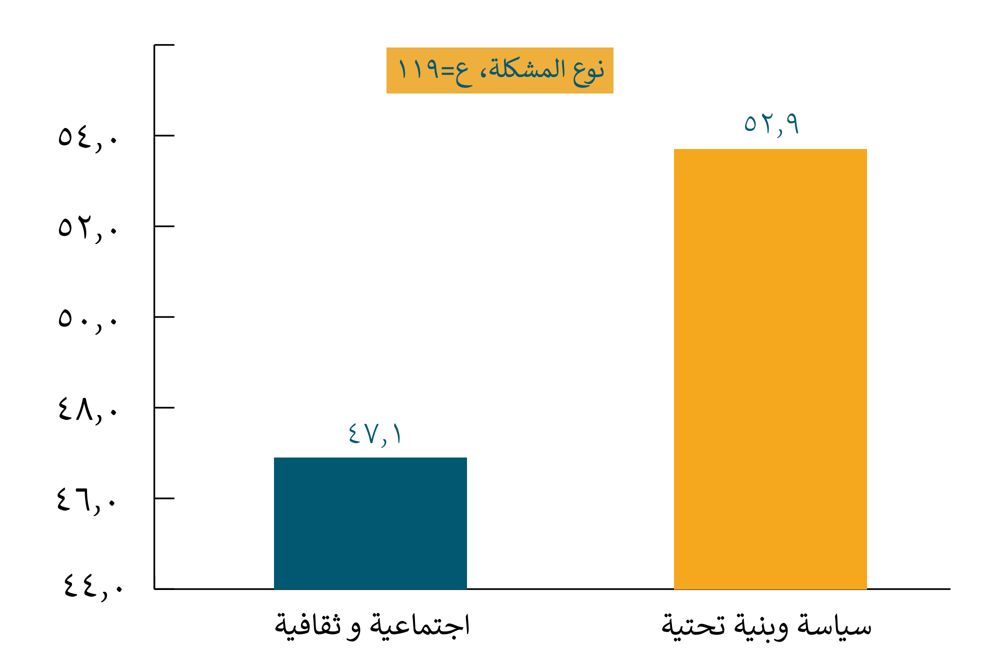
٧. ما يرجّح الاستعانة بالأهل والأقارب والجيران، بالمقارنة مع الجهات الأخرى، أي الجهات العامّة والشبابيّة (الأصحاب)، هو اعتقاد الشباب باجتماع صفتين فيهم، وهما: الثقة وامتلاك النفوذ في الفضاء العامّ (القدرة). لذلك تغيب فكرة السلطة الشرعيّة إجمالاً.

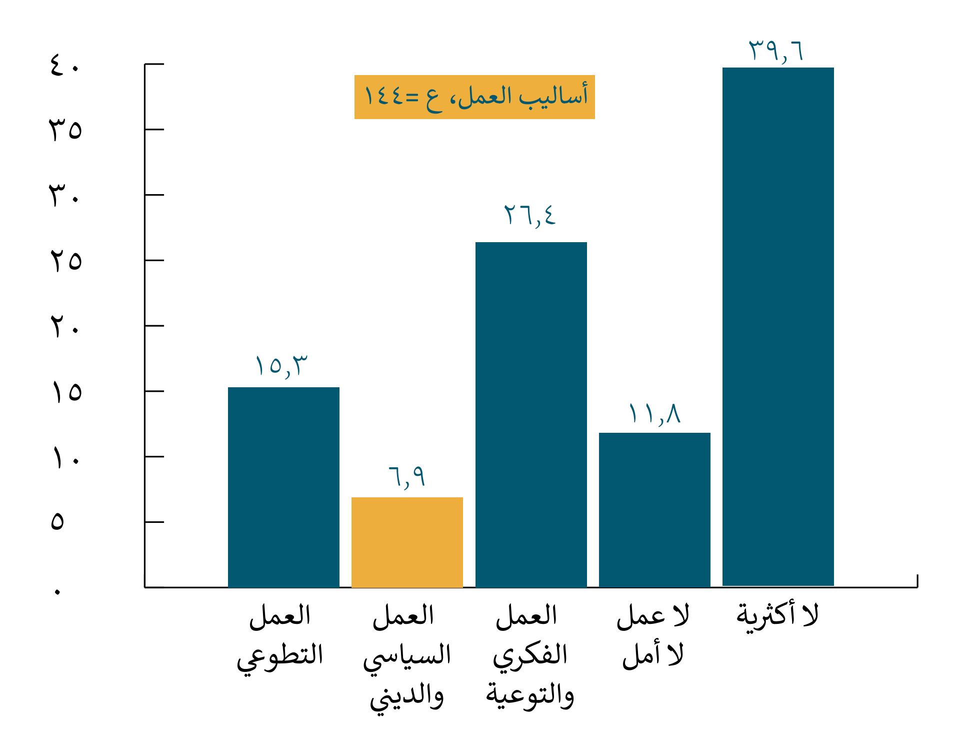


٨. بالانتقال إلى أفكار الشباب حول مشاكل المجتمع والسبل التي يرونها لحلّها، نكتشف «طبقة» إضافيّة في ثقافة الشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان، تتلخّص وفق الشكل الآتي: التفاوت بين تشخيصهم لنوع المشكلة من جهة، ورأيهم بسبل معالجتها واستعدادهم للمشاركة في هذه المعالجة من جهة ثانية.

٩. ينقسم الشباب في توصيفهم لمشاكل المجتمع بين من يقول إنّها اجتماعيّة وثقافيّة، أي بما هو سائد في المجتمع، (٤٧,١٪ من المجموعات)، ومن يقول إنّها سياسيّة تتعلّق بالقوى السياسيّة الحاكمة وتردّي البنية التحتيّة التي توفّرها الدولة، بما يشمل الكهرباء والاستشفاء والطرقات والتعليم (٥٢,٩٪ من المجموعات). وهو توزّع طبيعي يعكس صحّة الأمرين وأولويّة كلّ منهما في الكلام.

١٠.في الجواب على سؤال عن أفضل السبل لمعالجة مشاكل المجتمع، ركّزت المجموعات على العمل التطوّعي والفكري والتوعية، في حين رأت أقلية فقط أن السبيل هو العمل السياسي.

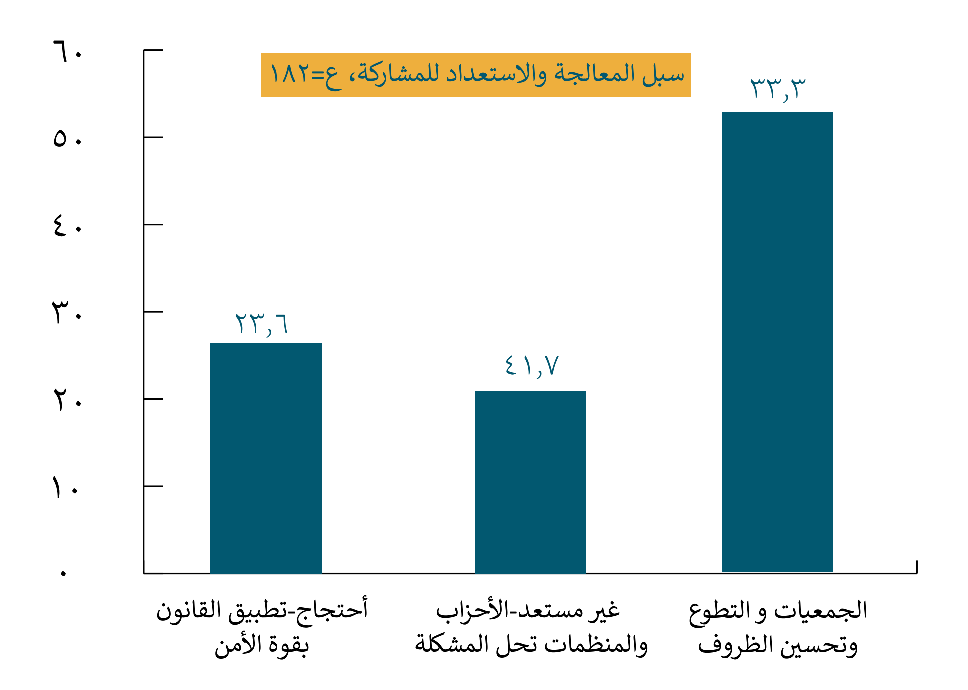




يوحي التركيز على العمل الفكري والتوعية والتطوّع بأنّ الحلّ هو في مخاطبة الذين يعانون من المشاكل ومساعدتهم، فضلاً عن تقويم الانحرافات في المجتمع. يظهر الشباب في هذا الموقف كأنّهم يستعيدون لغة أهلهم التي تركّز على التربية الحسنة والتخلّص من الأصدقاء السيئين، أي أنّنا نرى الشباب يستعينون بثقافة الأهل: «نحن بحاجة إلى التوعية، ويجب على الأهل أن يوعوا الأبناء على كيفيّة التعاطي مع الأمور والمشاكل الصعبة».

١١.بالمثل، لم ترد تعابير تتعلّق بالاحتجاج أو التظاهر إلّا ثلاث مرّات، مرّتين عند لبنانييْن ومرّة عند فلسطيني.

١٢.لكن إذا أضفنا فكرة الاحتجاجات إلى أفكار تتعلّق بتطبيق القانون وفرض النظام بالقوّة، يرتفع عدد المجموعات التي تدور أفكارها حول النظام إلى ٢٦٪، أي إلى الربع. وفي حين تداولت نصف المجموعات أفكاراً موجّهة نحو الجمعيّات والتطوّع وتحسين ظروف المعيشة بمبادرات اجتماعيّة، عبّرت المجموعات الباقية عن عدم استعدادها للمشاركة في أي شيء و/ أو اعتبرت أنّ الأمر متروك للأحزاب لتحلّ المشاكل.



١٣.ثمّة صعوبة في إجراء مقارنة بين اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين في موضوع علاقة الشباب بالفضاء العامّ، لأنّ أحد مجالات هذا الفضاء، أسمّيه المجال السياسي، يختلف كلّياً بين الجنسيات. فالدولة هي دولة لبنانيّة. وتطبيق القانون مثلاً، هو فكرة جيّدة عند اللبنانيين، وفكرة سيّئة عند الفلسطينيين (لأن القانون يمنعهم من العمل في عدد من المهن)، وكذلك عند السوريين بسبب مشاكل الأوراق الثبوتيّة التي يحملونها ورخص الإقامة. لذلك نقتصر في المقارنة على المجالات الأخرى.

١٤.هذه صورة إجماليّة عن الفروق بين الجنسيّات الثلاث:

	لبنانيون (+)	**فلسطينيون (+)**	**سوريون (+)**
المكان	مكان عام ثقافي رياضي	مكان عامّ للتسلية	مكان خاصّ (منازل)
النشاط	-	-	تسلية وغياب أي نشاط (إنكفاء)
الصحبة	أصحاب	أصحاب	أهل وأقارب
معوّقات الخروج	انشغال	-	الأسرة
طلب المساعدة	-	-	-
تسويغ طلب المساعدة	الثقة	-	القدرة
أساليب العمل	تطوّع	تطوّع	-
نوع المشكلة	-	-	-
سبل المعالجة	-	-	-

١٥.أمّا المقارنة بين الجنسين فتُظهِر فروقاً من نوع آخر طبعاً:

	ذكور (+)	**إناث (+)**
المكان	مكان عامّ للتسلية	مكان خاصّ (منازل)
النشاط	-	-
الصحبة	أصحاب	أهل وأقارب
معوّقات الخروج	انشغال	الأسرة
طلب المساعدة	-	أهل وأقارب
تسويغ طلب المساعدة	-	-
أساليب العمل	-	تطوّع
نوع المشكلة	-	-
سبل المعالجة	-	-

خلاصة

الحياة الاجتماعيّة للشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان لصيقة بالأهل بقوّة، أي بالفضاء الخاصّ، وهو ما يظهر بصيغ أو أشكال عدّة: البقاء في المنزل وبين الأقارب والجيران، والقيود التي يفرضها الأهل على خروج الأبناء إلى الفضاء العامّ، ومصاحبة الأبناء في الفضاء العامّ، واستناد الشباب إلى أهلهم في مواجهة مشاكلهم. تبلغ هذه النزعة أقصى درجاتها عند البنات والسوريين.

يتجسّد الفضاء العامّ، الذي يستقطب ثلثي الشباب، في أماكن التسلية (مقاهي أو غيرها)، أمّا أماكن الأنشطة الثقافيّة والدينيّة والسياسيّة فهي هامشيّة. أي أن «شباب المسؤوليّة» و«شباب الاحتجاج» غير موجودين تقريباً بالمقارنة مع «شباب اللهو».

إن «شباب اللهو» في البيئات المُهمّشة الذين يبتعدون من الأهل هم في الأعم ذكور، لكنّهم يقتربون من الأهل كثيراً بحثا عن السند والمساعدة، كما لو أن الفضاء الخاصّ يغزو الفضاء العامّ. وهذا الغزو هو تعبير عن سيطرة الجماعات السياسيّة على الفضاء العامّ، أسوة بسيطرته على الدولة.

إن اندفاع الشباب للكلام عن التطوّع والتوعية، ليس إلّا نزعة كلاميّة. من جهة، تتنافى مع قلّة المشاركة في العمل الاجتماعي، ومن جهة ثانية، تُظهِر الأسلوبين الأخلاقي والفردي في فهم المشاكل الاجتماعيّة، على طريقة الأهل في مخاطبة أبنائهم.

معهد عصام فارس للسياسات العامّة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت (IFI)

يسعى معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية، في الجامعة الأميركية في بيروت، إلى تيسير الحوار وإثراء التفاعل بين الجامعيين المتخصصين والباحثين وبين واضعي السياسات وصانعي القرار في العالم العربي بصفة خاصة. ويعمل على إشراك أهل المعرفة والخبرة في المنظمات الدوليّة والهيئات غير الحكوميّة وسائر الفاعلين في الحياة العامة. كما يهتم، من خلال الدراسات والأنشطة، بتعزيز النقاش المفتوح حول جملة من القضايا العامّة والعلاقات الدولية وبصياغة الاقتراحات والتوصيات المناسبة لرسم السياسات أو إصلاحها.

الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية (LAES)

الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية هي جمعية مهنية غير سياسية لا تتوخى الربح، تأسست في بيروت عام ١٩٩٥. أعضاؤها هم أساتذة أكاديميون وباحثون في المجال التربوي وينتمون إلى مختلف الجامعات والمؤسسات التربوية في لبنان. ومن أهداف الجمعية: ١) تطوير المعرفة التربوية ونشرها، ٢) تعزيز المجتمع العلمي التربوي، ٣) التفاعل مع الهيئات المماثلة في البلدان العربية، و٤) المساهمة في التطوير التربوي في لبنان والبلدان العربية الأخرى. ويتم العمل على تحقيق هذه الأهداف من خلال إجراء البحوث والدراسات والتوثيق والنشر وعقد المؤتمرات والحلقات الدراسية. أصدرت الهيئة أكثر من ٢٥ كتاباً في المجال التربوي. وتلتزم الهيئة القيام بأنشطة وتنفيذ مشاريع تتلاءم مع أهدافها. وهي تتعاون مع جهات مختلفة من أجل تمويل هذه الأنشطة، ومن بين هذه: وزارة التربية والتعليم العالي، مؤسسة فورد التربوية، مكتب اليونسكو الإقليمي في البلدان العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، معهد التربية الدولية، البنك الدولي، الإتحاد الأوروبي، معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت، وغيرها. الموقع الإلكتروني: www.laes.org

